نُفُوسٌ مُعَذَّبَةٌ

د. حَامِد خَطَّاب

نُفُوسٌ مُعَذَّبَةٌ

إهداء إلى أخي الحبيب أحمد، الذي لولاه ما كنت لأبدأ كتابة هذه الرواية، ولولاه ما كنت لأنهي كتابة هذه الرواية.

أحداث و شخصيات هذه الرواية من وحى خيال المؤلف و أى تشابه مع الواقع هو محض صدفة

أحداث الرواية تدور بين عامى 1983 **و** 2000

جلس الدكتور ضياء نور الدين أستاذ الطب النفسي خلف المنضدة الكبيرة بقاعة المؤتمرات بجامعة الزقازيق وقال مخاطبًا الحاضرين: «عن اليأس أتحدث.. عن ذلك الشعور السلبي الخطير الذي يدفع الإنسان إلى فعل أغبى وأفظع الأفعال التي قد يندم عليها فيما بعد، إن الأمل هو ما يدفع الإنسان للتعقل والتفكير، ولكن إذا لم يعد هناك أمل ولم يعد لدى الإنسان ما يخاف عليه عندئذ يتحول الإنسان إما إلى وحش مفترس يلتهم من حوله وإما إلى حطام إنسان لا يختلف عن أي جماد فهو مجرد جثة بلا روح».

***

«كلمني عن اليأس» قالها الدكتور ضياء نور الدين مخاطبًا الجالس أمامه خلف منضدة صغيرة وقد قُيِّدَت يديه داخل القميص الأبيض الذي يرتديه المرضى النفسيين كما قُيِّدَت قدميه بالكرسي المعدني الجالس عليه، كانت هذه الغرفة الضيقة هي غرفة التقييم للمرضى النفسيين شديدي الخطورة، وكان الجالس أمام الدكتور ضياء هو حسن هدهد.

أطال حسن النظر للدكتور ضياء، ثم قال له بهدوء دون أن تفارق عينيه عيني الدكتور ضياء: «عايز تعرف إيه؟» أعاد دكتور ضياء السؤال بهدوء «كلمني عن اليأس».

ضحك حسن بصوت عالٍ، فقال له دكتور ضياء: «بتضحك على إيه؟» استمر حسن في الضحك حتى دمعت عيناه، ثم قال: «أصلك عامل زي مذيعين البرامج الحوارية»، ثم أضاف: «أنا هاقولك.. اليأس هو أفضل المشاعر اللي ممكن الإنسان يحس بيها، بتخلِّى الإنسان أقوى وأجرأ، وممكن يعمل حاجات في العادي مش ممكن يتخيل إنه يقدر يعملها».

الفصل الأول

ارتمت هناء على فراشها وأخذت تبكي بلا صوت حتى بللت الوسادة بدموعها، فحياتها انقلبت رأسًا على عقب في خلال شهرين فقط، كانت متزوجة منذ ثلاث سنوات وعندها بنت هي قرة عينيها وتاج قلبها، كانت حياتها هادئة تمشي على وتيرة واحدة بلا أحداث غير تقليدية، ثم فجأة تغيرت مشاعر زوجها تجاهها، في البداية كان هناك فتور من زوجها، هي شعرت بذلك لكن لم تكن تريد أن تعطي الأمور أكبر من حجمها، من الطبيعي أن تفتر المشاعر قليلًا، الأمر ليس بكبير، ولكن تطورت الأمور سريعًا، فقد جاءها وقال لها: إنه لن يستطيع أن يكمل حياته معها، وإنه سيطلقها ويعطيها كل حقوقها ونفقة بنتها، سألته عن السبب فقال لها: إن كل شيء قسمة ونصيب وكله مكتوب، قالت له: إنها تعرف ذلك ولكنها تسأله عن السبب، ظل يراوغ ويراوغ، وبعد أن ضغطت عليه قال لها بانفعال وهو يصرخ: «أنا مش طايقك ومش قادر أشوف وشك، باحس أنك شيطان» فبكت أمامه، فهدأ صوته وقال لها: «صدقيني ده أحسن حل، مش أحسن ما يحصل حاجة أوحش من كده؟» قالت له من بين دموعها: «هو في حاجة أوحش من الطلاق؟»، قال لها:

«صدقيني في» فطلبت منه على الأقل أن يعطي الأمر أسبوعًا مهلة وستكون هي في بيت أهلها وبعد الأسبوع يأخذ قراره.

وقد مضى حتى الآن ثلاثة أيام وقد أرسلت خلال هذه الأيام إليه كل من يعرفونهم للتوسط لديه حتى يثنوه عن قراره، ولكن لا فائدة فإجابته واحدة «إنه لم يعد يطيقها، وإنه ممكن أن يؤذيها، لذلك فهذا هو أفضل حل».

أخرجتها الطَّرَقات على باب حجرتها من أفكارها فمسحت دموعها بكفيها وقالت بصوت مكتوم من أثر البكاء: «أيوة» أجابها صوت أمها من وراء الباب: «أميرة هنا يا بنتي.. عايزة تقابلك» مسحت دموعها مرة ثانية وقالت لأمها: «خليها تدخل» ثم سمعت طرقات على الباب فقالت: «ادخل» انفتح الباب ودخلت أميرة ثم أغلقت الباب وجلست بجانب هناء ثم قالت لها: «إيه يا بنتي أنتِ أخدتي أسبوع إجازة من المستشفى؟»، كانت أميرة هي زميلة هناء المقربة، فهما الاثنان ممرضتان في مستشفى الزقازيق العام، ردت هناء قائلة: «أيوة.. تعبانة شوية»

«تعبانة إيه بس.. هو أنا أعرفك امبارح؟ خليكي صريحة معايا.. في إيه؟»

تهدج صوتها وهي تقول: «مجدي».

- «ماله؟»

- «هيطلقني يا أميرة»

ضربت أميرة بيدها على صدرها وقالت: «يا نهار أسود» ثم قالت: «ليه؟»

- «مش عارفة.. قال لي: أنا شايفك شيطان».

رددت خلفها بصوت خفيض وهي تمسك ذقنها بسبابتها وإبهامها «شايفك شيطان!» صمتت ثوانٍ ثم قالت: «بيتهيأ لي حد عمل لك عمل».

- « عمل إيه بس يا بنتي.. أنت هاتخرفي؟»

- «ده مش خرف. في حد عمل لك سحر ولازم نفكّه.. السحر موجود يا بنتي ومذكور في القرآن».

صمتت هناء لحظات ثم قالت: «وده نفكّه إزّاي؟»

- «لازم نروح لشيخ».

- «أنا ماعرفش حد.. أنت تعرفي شيخ؟»

- «في شيخ في شارع فاروق إنما إيه.. سرّه باتع».

- «اسمه إيه الشيخ ده؟»

- «اسمه الشيخ حسن هدهد».

- «بس أنا خايفة».

- «خايفة من إيه بس؟ إحنا نروح له عجبنا الكلام نكمل معاه، ولو مش عجبنا يبقى يا دار ما دخلك شر.. نشوف واحد تاني».

- «وأنت عرفتيه منين؟ وعرفتي منين أصلًا أن سره باتع؟»

- «في واحدة زميلة بنت خالتي كانت كِبرت وعنِّست، زارت الشيخ والشيخ اكتشف أن في عمل معمول لها والشيخ فكّه.. وفي خلال أسبوع كان اتقدم لها عريس وإيه بقى.. شغال في الخليج ومبسوط قوي».

صمتت هناء وهي تفكر مع نفسها، إن هذا هو التفسير الوحيد، هناك من يكرهها وعمل لها سحر ليفرق بينها وبين زوجها، وهي مظلومة وكذلك زوجها، كان هذا التفسير مريح لها، أخرجتها أميرة من أفكارها وهي تقول: «يلّا قومي البسي علشان نروح للشيخ».

- «على طول كده؟»

- «خير البر عاجله.. يلّا يلّا.. أنت خسرانة إيه؟»

- « طيب هو مش بالحجز؟ هنروح كده على طول؟»

- «كفاية لكاعة بقى»، ثم قامت أميرة واقفة وجذبتها من يدها فقامت معها هناء ثم قالت أميرة: « أنا هاستنّاكي برّة لغاية لما تلبسي.. بسرعة يلّا».

لم يكن قد مضى نصف ساعة عندما نزلت هناء وأميرة إلى الشارع ثم ركبا السرفيس إلى شارع فاروق ونزلا منه عند محل الأسيوطي للموبيليا، ثم دخلا شوارع جانبية وأخذت الشوارع تضيق مما جعل هناء تسأل: «هو فين مكان الشيخ؟»

- «ماتخافيش.. خلاص قربنا.. آخر الشارع ده يمين».

- «أنت جيتى هنا قبل كده؟»

- «أنا خلّيت بنت خالتي تورّيني المكان».

مشيا إلى آخر الشارع ثم انعطفا يمينًا ثم قالت أميرة: «وصلنا».

كانا يقفان أمام مبنى قديم من دورين يسد نهاية الشارع، كان المكان صامتًا ومظلمًا إلا من مصباح أعلى مدخل البيت، وقفت هناء مترددة وقالت: «أنا خايفة».

- «إيه يا بنتي في إيه؟»

- «مش عارفة قلبي مقبوض كده.. والمكان مخيف قوي».

- «ماتخافيش أنا معاكي.. ماتخافيش».

مشيت هناء بخطًى بطيئة مترددة وأميرة ممسكة يدها تكاد تكون تجرُّها

منها، ثم دخلا من بوابة المبنى الحديدية وأميرة تقول: «الشيخ في الدور الأرضي».

- «الحمد لله». قالتها هناء وهي تنظر إلى السلم المظلم، فآخر شيء كانت تتمناه أن تصعد هذا السلم المظلم.

وقفا أمام باب الشقة الوحيدة الموجودة بالدور الأرضي ثم ضغطت أميرة على زر جرس الباب.

***

فتحت الباب فتاة في العِقد الثاني من عمرها ترتدي حجاب للرأس لونه أحمر وبنطلون جينز أزرق ضيق وبدي أحمر ضيق وكانت تضع مكياج كامل وأحمر شفاه لونه فاقع، نظرت لهم بتساؤل فقالت لها أميرة: «عايزين نقابل الشيخ». أفسحت لهما المجال ليدخلا، فدخلت أميرة وهي تسحب خلفها هناء التي أخذت تجول بعينيها في المكان، كانت الصالة خالية إلا منهم وكان بها عدد من الكراسي البلاستيكية ولم يكن هناك أي سجاد أو بساط يغطي الأرضية وكانت الإضاءة تسطع من أربع لمبات نيون.

أغلقت الفتاة الباب وقالت لهما: «استريحوا لحد لما أقول للشيخ».

جلسا على مقعدين في حين فتحت الفتاة أحد البابين المطلين على الصالة دون أن تستأذن ودخلت وأغلقت الباب خلفها، أدارت هناء عيناها في المكان مرة أخرى لترى الرواق الضيق الذي لم تره قبل أن تجلس والذي كان غارقًا في الظلام إلا من ضوء أخضر خافت يأتي من أسفل الباب المغلق في آخره.

قالت لأميرة بصوت خافت وهي تقرب شفتيها من أذن أميرة: «شيخ إيه ده يا بنتي؟!» التفتت إليها أميرة وقالت لها: «قصدك إيه؟» ردت هناء بصوت

هامس: «شوفتي البت اللي مشغلها عنده عاملة إزَّاي؟! لبس ضيق وميك أب.. دي رايحة فرح مش بتشتغل عند شيخ» همت أميرة أن تجيبها لولا أن فُتح الباب وخرجت منه الفتاة وأغلقته خلفها ثم التفتت إليهما سائلة: «مين فيكم اللي عايزة الشيخ؟» تبادلت أميرة وهناء النظرات ثم قالت أميرة: «إحنا الاتنين» بدا الضيق على الفتاة وقالت بنفاد صبر: «مين فيكم صاحبة المشكلة؟» تبادلا النظرات مرة أخرى ثم قالت أميرة: «هي»، في نفس الوقت الذي قالت فيه هناء: «أنا». أشارت الفتاة إلى هناء وهي تنظر إلى أميرة قائلة: «هي هتدخل لوحدها». اتسعت عينا هناء في رعب وهي تنظر إلى أميرة التي قالت للفتاة: «ماينفعش أخش معاها؟» ارتفع صوت هناء وهي تقول: «إنتي بتسأليها؟» ثم تابعت: «أنا مش هأدخل لوحدي.. إنتي اتجننتي ولا إيه؟» لم يَبْدُ على الفتاة أي انزعاج، بل هزّت كتفيها قائلة: «براحتك.. بس لو سمحتي لو مش هاتقابلي الشيخ اطلعي برّه» ثم توجهت إلى باب الشقة وفتحته في إشارة واضحة فنظرت هناء إلى أميرة مستنجدة، قالت أميرة لهناء بصوت خفيض: «مش مشكلة بقى يا هناء»، فقالت هناء هامسة بانفعال: «إنتي بتقولي إيه؟» قالت أميرة: «إنتي بس خايفة من إيه؟» سكتت هناء كأنما بوغتت بالسؤال وقالت: «مش عارفة، بس خايفة» قالت أميرة بسرعة: «متخافيش أنا جنبك هنا في الصالة» ثم تابعت: «علشان خاطر ورد»، ما إن ذكَّرتها بابنتها حتى خارت مقاومتها وقالت في ضعف: «بس..» قالت أميرة: «مابسّش.. يالّا ادخلي» ودفعتها أميرة برفق تجاه الباب الذي كانت دخلته الفتاة فأغلقت الفتاة باب الشقة وسبقت هناء إلى باب الغرفة ففتحته لهناء التي كانت تمشي ببطء شديد رغم دفع أميرة لها حتى إذا ما وصلت للباب المفتوح رأت حجرة نظيفة أرضيتها مغطاة بالسجاد ومضاءة بشكل جيد وبها

مكتب يجلس خلفه رجل مبتسم يبدو أنه في منتصف العِقد الرابع من العمر، تبدد خوفها تمامًا وقالت في نفسها: إن هذا الرجل يوحي بالثقة، لم تدر لما أحست بهذا، ولكنها نظرت نظرة سريعة لأميرة وأومأت لها برأسها إيماءة لا تعلم هي نفسها معناها، ثم دخلت إلى الحجرة فأغلقت الفتاة الباب خلفها.

***

عندما أُغلق الباب التفتت إليه هناء للحظة ثم استدارت بسرعة إلى حسن هدهد وهي ما زالت واقفة مكانها، فقام من خلف مكتبه وذهب إليها، كان طويل القامة، متين البنية، يرتدي بذلة سوداء وقميص أسود وربطة عنق سوداء، وكان هذا السواد يتناسق مع شعره الأسود الناعم المصفف بعناية، ويتضاد مع لونه الأبيض المُشرب بحمرة، ظلَّت واقفة مشدوهة حتى وصل إليها فقال لها بصوت عميق مبتسمًا: « أهلًا وسهلًا.. نورتي المكان» وسلم عليها، ثم أمسك أطراف يدها اليمنى بين أصابعه وجذبها من يدها برفق إلى الكرسي الوحيد الموجود بالغرفة، والذي هو يواجه مكتبه وقال لها: «اتفضلي اقعدي» فجلست وعينيها معلقتين به، فذهب خلف مكتبه وجلس، ثم قال بهدوء وابتسامته لم تفارقه: «تشربي إيه؟» ظلت ساكتة لا ترد، فقال لها: «تحبّي تشربي إيه؟» قالت: «هه.. ولا حاجة شكرًا»، ظل صامتًا ينظر إليها فأبعدت عينيها عن عينيه وتنحنحت ثم قالت: «أنا جايّالك لأن عندي مشكلة» ابتسم ابتسامة هادئة وقال لها: «مش تقولي لي اسمك الأول» بُهتت للحظة، فقد كانت تظن أنه يعرف اسمها لأنه شيخ يفك الأعمال، إذا كان لا يعرف اسمها فكيف سيفك لها العمل ويرجع زوجها إليها، قالت له: «هو أنت ماتعرفوش يا مولانا؟» اتسعت ابتسامته وقال في هدوء: «أعرفه منين إذا

كان إنتي لسه ماقولتيليش عليه؟»، أحسّت بالإحباط وقالت له: «هناء»، قال لها: «خير يا هناء إيه المشكلة؟» حكت له الحكاية وهو يستمع إليها دون أن يقاطعها، وفي النهاية قالت له: « وصاحبتي أميرة قالت لي: إن اللي حصل ده سببه عمل وأنا جيت لك علشان تفكّهولي» ساد الصمت لوهلة، ثم قال لها: «السبب في اللي إنتي فيه مش عمل» ثم صمت، فقالت له لتستحثّه على الإكمال: «أمّال إيه؟» قال لها: «ده سحر» تراجعت بظهرها للوراء كأن شيئًا ما صدمها وهي تردد بصوت هامس بطيء: «سحر!» ثم قالت: «طيب إيه الحل؟» قال لها في هدوء وهو يرجع بظهره للوراء: «أنا ممكن أفك لك السحر ده». قالت بسرعة: «يا ريت» سكت لحظات ثم قال: «بس المهم تدفعي تمن الخدمة دي» قالت وهي تفتح حقيبة اليد الخاصة بها: «قوي قوي.. عايز كام؟» قال لها بهدوء: «أنا مش عايز فلوس» تسمَّرت عيناها على الحقيبة وهي تفكر الثمن الذي لا يكون مال هو تمن خطير، هل هو يريدها هي؟ إنها ليست باهرة الجمال لدرجة أن تأسره في هذه الدقائق، هي جميلة حتمًا ولكن ليس إلى هذه الدرجة، إذا ما هو هذا الثمن، أخرجها من أفكارها وهو يقول لها: «هه.. اتفقنا؟» قالت له ببطء: « مش لما أعرف الأول أنت عايز إيه؟» قال لها: «خدمة بسيطة هتعمليها لي مقابل الخدمة اللي هاعملها لك».

- «خدمة إيه دي؟»

- «توافقي الأول وبعدين أقول لك»

- «مقدرش.. نفترض طلبت مني حاجة ماقدرش أعملها؟»

- «متخافيش دي حاجة بسيطة جدًا.. خصوصًا أنك ممرضة ده هيسهل عليكي كتير» قالت بكلمات سريعة: «إيه؟ أنا ماقولتلكش أني ممرضة.. وبعدين

إيه دخل شغلي بالموضوع؟»

- «ده ليه دخل كبير جدًا».

- «إزَّاي؟»

- «هقول لك.. إنتي بتشتغلي عند دكتور نسا صح؟»

- «أيوة مرتب الحكومة لوحده مابيكفّيش.. أنت عرفت منين؟»

- «أنا عارف كل حاجة.. اللي عايزه منك أنك تحقني تلات أطفال من اللي هيتولدوا في عيادة الدكتور بسائل أنا هديهولك.. بعد لما تعملي كده هتروحي تلاقي جوزك في البيت وهيبقى زي الخاتم في صباعك».

كانت مبهوتة من الذي قاله لها فصمتت ولم تقل شيئًا ولكن أخذت تجول بنظرها وهي لا ترى شيئًا، فقد كانت تفكر فيما سمعت، فهذا طلب لم تكن تتوقعه أبدًا، ولما طال الصمت قال لها: « هيه قولتي إيه؟» قالت دون أن تنظر له: «مش عارفة»، ثم نظرت إليه وقالت: « مفيش حل تاني؟ حرام الأطفال ملهومش ذنب» قال لها: «يعني إيه مالهومش ذنب؟»

- «يعني ليه أضرهم؟»

- «ومين قال لك إنك هاتضريهم؟»

- «يعني السائل ده مش مضر؟»

- «إنتي فاكرة أن لو أم طفل من الأطفال التلاتة دول مكانك كانت هتردد لحظة واحدة أنها تضر بنتك علشان تحمي بنتها؟ طبعًا لا.. خلّي بالك أن الناس بتكرهك لدرجة أنهم عملوا لك سحر.. وإنتي دلوقتي بتفكري في مصلحتهم على حساب مصلحتك ومصلحة بنتك».

صمتت وهي تنظر حولها شاردة ثم قالت: «طيب أنت هتستفيد إيه من موضوع السائل ده؟» رد عليها سريعًا: «مش شغلك». بهتت للرد فقالت: «يعني إيه مش شغلي؟ ده أنا اللي هحقنهم».

- «يعني إما تنفذي اللي بأقول لك عليه وجوزك يرجع لك يا إما ترفضي وجوزك يطلقك.. قولتي إيه؟» صمتت وصمت هو أيضًا وأخذت هي تفكر بسرعة: «هو قال: إن السائل ده مش مضر للعيال دي.. لا هو ماقلش كده.. هو قال لي: وإنتي مالك.. بس يعني العيال دي أهم من بنتي؟ وكمان الناس بتكرهني لدرجة أنهم عملوا لي عمل.. بس لا مش أهالي العيال دي.. هما مالهومش ذنب.. وكمان..».

- «هه.. قولتي إيه؟»

- «مش عارفة».

- «لازم تعرفي».

صمتت لحظة ثم قامت وقالت: «لا أنا مش هاعمل كده» ثم اتجهت ناحية الباب.

- «خلّي بالك» قالها بحزم وبصوت عالٍ، فتوقفت هناء وظهرها له تنظر للباب الذي بينها وبينه خطوتين ثم التفتت إليه وعلى وجهها نظرة تساؤل، فقال بنفس اللهجة: «لو خرجتي من الباب ده مش هتدخليه تاني.. أنا مش هأقابلك تاني» توقفت مكانها متسمّرة لا تدري ماذا تفعل؟ «هو بيتكلم بثقة قوي كده ليه؟» هكذا فكرت «أنا كده هأضيّع الفرصة دي من إيدي.. بس مين قال إنها فرصة؟ لكن واضح أنه عارف هو بيتكلم عن إيه»

- «بقول لك».

- «نعم».

- «لو فرضنا أن في حريقة وبنتك موجودة فيها ومعاها تلات عيال كمان وإنتي مش هتقدري تنقذي إلا طفل واحد بس.. هتنقذي مين؟»

- «بنتي طبعًا».

- «الوضع كده بالضبط.. رغم أن الأطفال التلاتة التانيين هيتحرقوا لكن إنتي اخترتي بنتك» عادت لتجلس على الكرسي بخطوات بطيئة وهي تنظر بعينين لا تريان وجلست وهي على نفس الحال، فقال لها بهدوء: «وأنا كمان هأقول لك على اللي عمل لك السحر علشان تاخدي بالك منّه وتقاطعيه» ثم أضاف بعد أن صمت لحظات: «قولتي إيه؟» حوَّلت نظرها إليه بعد أن كانت تنظر إلى فراغ الغرفة، ثم قالت بصوت خفيض: «ماشي» التمعت عيناه وقام من خلف مكتبه ودار حوله حتى أصبح أمامها، فقامت هي الأخرى فنظر إلى عينيها ومد يده إليها قائلًا بابتسامة: «يعني اتفقنا؟» مدت يدها تصافحه دون أن يرتسم على وجهها أي تعبير قائلة: «اتفقنا».

الفصل الثاني

نامت هناء بجانب ابنتها ونظرت إليها ثم مسحت بظهر يدها على جبينها لتزيل شعرها يمينًا ويسارًا ثم نزلت بيدها تمسح على خدها وهمست: «مش هاسمح أنك تتربي بعيد عنّي أو عن أبوكي» ثم قبّلت جبينها وقالت: «ماتخفيش يا ورد» ووضعت رأسها على الوسادة ونامت ورأت فيما يرى النائم أنها في منزل كبير مكون من عدة طوابق وأنها في الطابق الأرضي تسمع صوت بكاء ابنتها قادم من أعلى، فاتجهت إلى السلم لتصعد وهي ترهف السمع وكان صوت البكاء يزداد وضوحًا مع صعودها السلم، وصلت إلى الطابق الثاني وأصبح واضحًا لها من مستوى الصوت أن ابنتها في هذا الطابق، وكان أمامها أبواب كثيرة كلها مغلقة، فأخذت تمشي مصغية حتى تسمع من أين يأتي البكاء، فمشت تنظر يمينًا ويسارًا حتى توقفت أمام باب من الأبواب واضح أن الصوت يأتي من خلفه، أمسكت المقبض وأدارته فلم ينفتح الباب فقالت: «الباب مقفول بالمفتاح.. هو فين بس المفتاح؟» ثم دقَّت الباب بقبضتيها قائلة: «ماتخافيش يا ورد أنا هنا يا حبيبتي» نظرت حولها تبحث عن شيء تكسر به الباب، كان ذلك حين سمعت صوت المفتاح يدور، ولكن

الباب لم يفتح فأسرعت تدير مقبض الباب فانفتح، دفعته بيدها لترى خلفه ظلام دامس وكانت لا تزال تسمح صوت بكاء طفلتها فقالت بصوت مرتفع: «ورد.. إنتي فين؟» فجأة سطعت بقعة مضيئة داخل الغرفة لترى ابنتها كأنها معلقة في هواء الغرفة تحرك يديها وقدميها فأسرعت إليها وقبل أن تصل إليها سطع الضوء داخل الغرفة فأغلقت عينيها من شدة الضوء ورفعت يدها تحمي عينها ثم فتحت عينيها ببطء لتجد حسن هدهد يحمل ابنتها جالسة على يده اليمنى وقد أسند ظهرها بيده اليسرى وعلى وجهه ابتسامة لم ترق لها، لم تكن ابتسامة هادئة كالتي رأتها منه أول مرة قابلته فيها وقال لها في هدوء: «إنتي عارفة لو مانفذتيش هايحصل إيه؟» قالت له بصوت مرتجف خوفًا: «ادّيني بنتي لو سمحت» أكمل كأن لم يسمعها: «هايحصل كده» ثم ابتسم فاشتعلت النار في مدفأة لم تكن لاحظت وجودها قبل ذلك وطوح هو بورد في النار، فصرخت هي: «ورد» واستيقظت لتجد نفسها في غرفتها على سريرها، ونظرت إلى ابنتها لتطمئن عليها لتجد أن ابنتها غير موجودة، فشهقت وقامت من سريرها لتسمع صوت بكاء ورد قادمًا من الصالة، فأسرعت تفتح باب غرفتها لتجد أمها تحمل ابنتها فأسرعت تقول بصوت متهدج: «ورد» وأخذتها من أمها واحتضنتها تقبلها أمام نظرات أمها غير الفاهمة، ثم نظرت إلى أمها وقالت بين دموعها: « انتي أخدتي البنت من جنبي ليه؟»

«البنت كانت بتعيّط فخوفت تصحيكي.. أصل شكلك كنتي محتاجة النوم قوي» ثم مدَّت يديها لتأخذ ورد وقالت: «هاتيها يا بنتي وخشي نامي شوية» أعطتها البنت ودخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها، ثم اتجهت إلى حقيبتها فأخذتها وجلست على السرير وفتحتها لتخرج منها قارورة بها سائل أحمر قاني اللون وأخذت تقلبها بين أصابعها، كانت دافئة وفجأة شعرت كأن في

السائل شيئًا يتحرك، فانتفضت وقرَّبت القارورة من عينيها لكنها لم تر شيئًا، فرفعت القارورة إلى أعلى لتجعل الضوء خلفها حتى تستطيع أن ترى أفضل، نظرت لثوانٍ ثم شهقت واتسعت عيناها في رعب، فلقد خُيِّلَ إليها أنها رأت لجزء من الثانية شيئًا يسبح في السائل، شيئًا اسطوانيًا وله قرنان لكنه اختفى في سرعة، حاولت ثانية لكنها لم تر شيئًا.

***

ارتفع أذان صلاة الجمعة من المسجد القريب من بيت أحمد الخشاب وتقلب هو في فراشه مع صوت الأذان المرتفع ووضع الوسادة على رأسه، دخلت عليه زوجته فايزة ممسكة ببطنها المنتفخة من أثر الحمل وجلست على الفراش بجانبه وقالت: «أحمد قوم عشان تصلي الجمعة» لم يرد عليها فهزته في كتفه وقالت: «أحمد قوم بقى» هز كتفه بعنف وتقلَّب على جنبه الآخر وضغط الوسادة بشدة على رأسه وقال: «ماشي ماشي دقيقة كده». كان أحمد لا يصلي وكانت فايزة لا تواظب على الصلاة لكنها كانت ترى أنه من العيب ألا يُصلي زوجها الجمعة، حيث إن أزواج جاراتها كلهم يصلون الجمعة في المسجد الموجود على ناصية الشارع، وهكذا عندما تقابل جاراتها كانوا يعايرونها بأن زوجها لا يصلي الجمعة، لذلك كانت مصرة على أن توقظه، فقامت وفتحت شباك الغرفة فدخل النور إلى الغرفة، فذهبت إليه مرة أخرى قائلة: «أحمد قوم بقى» رمى الوسادة واعتدل جالسًا قائلًا: «يلعن.. أمك» انتفضت قائلة: «بتسب لي الدين علشان عايزاك تصلي؟» ودمعت عيناها وهي تقول: «أنت هتبقى أب، المفترض تراعي ربنا» ثم خرجت من الغرفة مسرعة، ظل جالسًا لحظات ثم حرك يديه وهمهم بكلمات غير مفهومة، ثم

نهض في الوقت الذي ارتفع فيه صوت الأذان الثاني لصلاة الجمعة، خرج من الغرفة فوجد فايزة جالسة تبكي فقال لها: «خلاص بقي ماتعيطيش» لم ترد، فذهب إلى دورة المياه وتوضأ ثم لبس الجلباب الأبيض والطاقية البيضاء وأمسك المسبحة وفتح باب الشقة فقالت فايزة: «هأجهز الأكل عقبال لما ترجع» ابتسم وقال لها: «ماشي» نزل للصلاة وقامت هي لتعد الطعام وهي تفكر أن ميعاد ولادتها اقترب وهي تريد الأمور أن تكون هادئة بينها وبين زوجها، تريد ابنها أو بنتها أن ينعم بحياة أسرية مستقرة، تريد مولودًا سليمًا وأن تكون هي أيضًا بصحة جيدة، لذلك أصرت أن تلد عند الدكتور، وعندما لمَّحَ هو بالرفض قالت له: « أنت فاكرنا أيام ستي وستك؟ إحنا دلوقتي في التمانينات.. الدنيا اتقدمت» تنهدت عند هذه النقطة من تفكيرها وقالت بصوت مسموع: « كل حاجة هتبقى تمام».

***

استيقظت سارة من نومها وتقلبت على جانبها الأيسر ببطء ووضعت يديها على بطنها المنتفخة من الحمل وفتحت عينيها فلم تجد زوجها بجانبها، فاعتدلت جالسة على الفراش لتنظر في المنبه بجانبها الذي أشار إلى الثانية والنصف بعد منتصف الليل وقامت تنادي على زوجها: «إبراهيم» لم تسمع ردًا فمشت ببطء لتبحث عنه، فسمعت صوته قادم من الصالة، فخرجت لتجده واقفًا يصلي، نظرت له ثوانٍ ثم قالت: «الحمد لله» ورجعت إلى غرفتها لتكمل نومها، كان إبراهيم وصل لدعاء القنوت في ركعة الوتر فقال: «اللهم لك الحمد كله.. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى

آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. يا رب أستغفرك من كل ذنب.. أنت تعلم أني أحبك ولا أتعمد معصيتك ولكنّي بشر.. اللهم حبب لي الطاعة ويسرها لي وكرِّه لي المعصية وصعِّبها علي.. اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهم إنّي أسألك العافية في الدنيا والآخرة.. يا رب بارك لي في سارة واحفظها لي.. يا رب بارك لي في ذريتي وارزقني الذرية الصالحة.. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. اللهم لك الحمد» فرغ من دعائه وأكمل صلاته ثم رجع إلى غرفته ليجد سارة نائمة مغمضة العينين فاقترب من بطنها وقبلها ثم قال: «بابا بيحبك» ثم قرَّب وجهه من وجه سارة وقبَّلها على جبينها وقال: «بس مش أكتر من ماما» ابتسمت رغمًا عنها وقالت وهي مغمضة العينين: «أنت بكّاش كبير قوي على فكرة». ابتسم وقال: « بكّاش إزَّاي بس؟ هو أنا كنت أعرف أنك صاحية؟»

- « آه منك أنت.. ماتتغلبش أبدًا» مسح على شعرها وقال: «ربنا يحفظك إنتي وابننا أو بنتنا يا رب».

- «آمين يا رب».

- «آمين يا رب»

***

ذهبت أميرة إلى مكتب حسن هدهد وطرقت الباب ففتحت لها نفس البنت، كانت ترتدي جينز أسود وبدي أسود وتضع أحمر شفاه أسود اللون وطلاء أظافر أسود، دخلت أميرة وقالت: «إزّيك يا ميمي؟»

- «أهلا».

- «مولانا في البير؟»

- «لا هو في مكتبه.. خشّى إنتي البير واجهزى وهو هيحصلك».

ذهبت أميرة إلى الغرفة التي كان يظهر من أسفل بابها ضوء أخضر ولكنها الآن كان يظهر من أسفل بابها ضوء أحمر، فتحت الباب ودخلت وأغلقته خلفها، انتظرت ميمي حتى دخلت أميرة ثم ذهبت إلى مكتب حسن هدهد ففتحت الباب ودخلت، وجدت هدهد ممسكًا بين يديه رداءً أحمر اللون مرسوم عليه باللون الأسود رسوم متداخلة، قالت له: «بابا إذا كان سيدنا يق..» قاطعها وقد بدا الغضب واضحًا عليه: «أنا مابقتش بابا خلاص.. اسمي مولانا.. زي ما إنتي مابقيتيش بنتي أمينة.. إنتي خدامتي ميمي.. ده كله جزء من تحولنا الكبير لخدمة سيدنا الأعظم.. فاهمة؟»

- «فاهمة.. حاضر.. طيب يا مولانا، إذا كان سيدنا يقدر يحقن هو العيال بالسائل لأنه يقدر يدخل أي مكان ويعمل أي حاجة.. ليه بقى وجع القلب بتاع هناء ده؟»

- «إنتي لسه غبية زي ما إنتي.. اللعبة كلها أن البني آدمين هما اللي يعملوا الخطيئة مش سيدنا.. طيب ما هو يقدر يعمل أي حاجة.. بس الفكرة كلها أن هناء هي اللي تختار أنها تعمل الغلط من غير أي إجبار».

- «طيب وإحنا هنستفيد إيه؟»

- «إحنا هنستفيد كل حاجة.. قوة وفلوس وسلطة.. لما سيدنا يحكم العالم هنكون إحنا من السادة وكل اللي عايزينه هنعمله».

صمت لحظة ثم قال: «كفاية رغي بقى.. جهزتي اللي قلت لك عليه؟».

- «أيوة يا مولانا».

- «رتبتيه؟»

- «أيوة يا مولانا».

- «طيب روحي إنتي البير عقبال لما آجي».

- «حاضر يا مولانا».

خرجت من عنده ثم ذهبت إلى غرفة أخرى، فتحت بابها ودخلت ثم أحضرت حقيبة جلدية صغيرة بحجم كف اليد وذهبت بها إلى الغرفة التي دخلتها أميرة التي يسمونها البير «البئر» فوجدت أميرة مرتدية رداءً أحمر يصل إلى ركبتيها وعليه أرقام مكتوبة باللون الأسود داخل مربعات محددة باللون الأسود، كانت في ركن الغرفة وكان في الركن الآخر شيء ملفوف بقطعة قماش حمراء اللون عليها رسوم متداخلة، وكان أمام الجدار المقابل للباب طاولة عليها شيء مغطى بقطعة قماش بيضاء، أغلقت ميمي الباب وذهبت إلى منضدة بجانب الشيء الملفوف بقطعة القماش الحمراء كان على المنضدة مبخرة، وضعت فيها قطعة بخور هرمية الشكل أخرجتها من الحقيبة الجلدية ثم أشعلتها وأخرجت من الحقيبة مصحفًا وكان المصحف مقطع الصفحات بطريقة تجعل كل صفحة سليمة لكنها غير مثبتة بغلاف المصحف، بدأت هي تضع صفحات المصحف على الأرض بترتيب معين حتى غطّت بها السجادة الحمراء الموجودة بوسط الغرفة، وعندما انتهت دخل هدهد مرتديًا الرداء الذي كان يحمله بين يديه، وكان الرداء يصل إلى ركبتيه، كان دخان البخور المصنوع من بعض عقاقير الهلوسة بخلطة معينة لا يعلمها إلا هدهد قد ملأ الغرفة، كان هدهد قال لهم: «ده سر من أسرار سيدنا اللي مش بيعرفه إلا

للمحظيين بس»، مشى إلى الطاولة التي أمام الجدار المقابل للباب وأزال قطعة القماش البيضاء فظهر تمثال لغزال مجنح ولكن نصفه الأمامي لرجل، قالت ميمي: «يا... مولانا لو سمحت أنا مش عايزة أتفرج».

«إنتي عارفة لما قولتي كده آخر مرة حصل لك إيه».

ارتعدت أطرافها وهي تتذكر المرة الماضية عندما رفضت أن تشاهده وهو يجامع أميرة، كان ذلك قبل ستة أشهر، قيدها من يديها إلى سقف الغرفة وجردها من ملابسها وجلدها بالسوط حتى فقدت الوعي من شدة الألم، وعندما أفاقت كانت قررت الهروب، وفعلًا هربت، ركبت أول قطار صادفته في المحطة، دخلت عربة القطار وكانت تلهث بشدّة بسبب العدو الشديد، دخلت وجلست على أرضية العربة ضامّة ركبتيها إلى صدرها ونامت من شدة التوتر والإجهاد، ولم تستيقظ إلا على من يربّت على كتفها فانتفضت وفتحت عينيها لتجد محصل القطار يقول لها «تذكرتك فين يا بنتي؟».

- «معاييش تذكرة».

فتح دفتر قطع التذاكر وقال لها: «طيب إنتي رايحة فين؟»

- «هو القطر ده رايح فين؟»

- «هو إنتي مش عارفة إنتي رايحة فين؟»

- «لا عارفة طبعًا.. رايحة مصر».

- «طيب.. جنيه وربع».

- «بس أنا.. أنا معاييش فلوس».

نظر لها ولم يقل شيئًا كان يفكر هل هي تخدعه أم هي في ورطة؟ هل هي

هاربة من بيت أهلها؟ أسئلة كثيرة دارت في عقله، قالت له: «بس أنا معايا الساعة بتاعتي ممكن تاخدهان هي أغلى من جنيه وربع بكتير» وأظهرت له الساعة، لم يجب عليها فقالت «ومعايا كمان السلسلة بتاعتي» أخرجت السلسلة التي كانت مخفية تحت الملابس، كانت سلسلة ذهبية مما جعل المحصل يبتسم ويقول: «خلاص يا بنتي.. مش مهم.. بس قومي اقعدي على كرسي بدل قاعدتك دي على الأرض» قامت معه وجلست على كرسي وجلس هو أمامها وقال لها: «هو إنتي إيه حكايتك يا بنتي؟»

- «أنا هربت من بابايا يا عمو».

- «ليه كده؟.. حصل إيه؟»

- «بيضربني يا عمو» قالتها وبكت، فقال لها: « خلاص يا بنتي متخافيش إنتي انزلي معايا في محطة مصر وأنا ان شاء الله هأكلم باباكي عل... « قاطعته قائلة: «لا.. أنت ماتعرفوش.. ده شرير قوي.. علشان خاطري بلاش».

- «أمال نعمل إيه بس يا بنتي؟»

- «ماعرفش بس أنا مش هأرجع له».

- «ماشي خلاص هأعمل لك اللي إنتي عايزاه» أخذ يفكر الحل الوحيد هو أن يأخذها لزوجته لعلها تساعده في إيجاد حل، فبالتأكيد عقلين أفضل من عقل واحد، قال لها « أنا عمك محمود.. إنتي اسمك إيه؟»

- «ميمي.. قصدي أمينة»، ابتسم وقال لها: «ماشي يا أمينة» أتى لها بشيء تأكله وعصير، وعندما وصل القطار إلى محطة القاهرة نزل محمود مع أمينة وقال لها: «اقعدي على الدكة دي بس دقيقة هأمضي وأرجع لك» تركها وذهب إلى مكتب ناظر المحطة، كان لا يريد أن يأخذها معه حتى لا يثير تساؤلات

كثيرة لا يملك إجابات لها وحتى لا يوتر أمينة، جلست أمينة وشردت وهي تفكر، أخيرًا نجت من الجحيم التي كانت فيه، لقد هربت من أبيها ولن تعود أبدًا ولن يجدها أبدًا «ميمي» انتفضت عند سماع صوت هدهد ينطق اسمها والتفتت لتجده جالسًا بجانبها وعلى وجهه ابتسامة، لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة وهي ترتجف، كيف عرف مكانها وكيف سبق القطار، لقد تركته في البيت نائمًا، وكأنما قرأ أفكارها فقال: «سيدنا اللي قال لي على مكانك وهو كمان اللي وصلني هنا»، وضع يده على كتفها وقال: «صدقيني مفيش طريقة تهربي بيها مني أبدًا.. قومي معايا» قامت معه وهي صامتة ونظرت تجاه مكتب ناظر المحطة الذي دخله محمود من لحظات لعله يخرج ويراها كأنما قرأ أفكارها مرة أخرى فقال: «لو خرج وشافنا هأضطر أقتله.. وهو راجل طيب.. فمفيش داعي» مشت معه وهي تُمَنِّي نفسها بأنها ستسمع محمود ينادي عليها ولكنه خرج بعد أن بعدت عن المكان فنظر حوله ثم ضرب كفًا بكف وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وعندما وصل هدهد وميمي إلى البيت بدأ العذاب، فلقد جردها من ملابسها وقيد يديها ورجليها وربطها بالسقف بحيث تظل واقفة حتى إن نامت أو أُغمي عليها، وبدأ بالجلد بالسوط ثم الكي بالنار مع الحرمان من الأكل والشرب إلا ما يبقيها على قيد الحياة، وظلت هكذا أسبوع كامل وكانت تتبول وتتبرز في مكانها وهي واقفة حتى إن بعض الهوام بدأت تغزو جسدها وكان يقول لها: «ده عقاب بسيط.. لو كررتي اللي عملتيه العقاب هيبقى أشد بكتير.. إنتي متقدريش تهربي مني.. لازم تسمعي كلامي وإنتي هتعيشي حياة النعيم»، ومنذ ذلك الحين وهي تطيعه في كل أوامره وتحاول أن تنال رضاه ولا تعصي أوامره أبدًا، أفاقت من ذكرياتها على صوت أميرة.

- «إنتي عندك كام سنة يا ميمي؟» سألتها أميرة.

- «ستّاشر سنة».

- «طيب يا مولانا دي لسه عيّلة»، جاوبها هدهد بصفعة بظهر يده وقال لها غاضبًا «ماتتدخليش في اللي مالكيش فيه».

ثم ذهب إلى الشيء الملفوف بقطعة القماش الحمراء فرفعها فظهر تحتها دلو وصبي صغير في الخامسة من عمره، وكان عريان ومقيد القدمين واليدين خلف ظهره، وكان تحت تأثير المخدر، شهقت ميمي عندما رأت الصبي الصغير، فهي لم تكن تعلم بوجوده، أمسك هدهد بالطفل وأشار إلى أميرة فأتت إليه فحملت الطفل إلى فوق السجادة الحمراء المغطاة بصفحات المصحف وتبعها هدهد، كانا يمشيان فوق صفحات المصحف الموضوعة على السجادة، كان هناك حبل سميك يتدلى من السقف فوق منتصف السجادة، نفس الحبل الذي كانت مربوطة به ميمي حين كان يعذبها، فربط قدمي الصبي به فأصبح معلقًا رأسه لأسفل بحيث تكون رأسه في مستوى صدر هدهد، أخرج من جيب ردائه الأيمن قارورة صغيرة فتحها وقرَّبها من أنف الصبي فتحرك حركة عنيفة نتيجة لرائحتها النفاذة وفتح عينيه ليُفاجأ بما يراه، فقال بصوت مرتعد: «إنتو مين؟.. ماما فين؟» ابتسم هدهد وقال: «ماتخفش يا حبيبى.. أنت اسمك إيه؟»

- «رامي.. أنا عايز ماما» ثم بدأ في البكاء، هنا ضحك هدهد وأميرة بينما ارتجفت ميمي.

أخرج هدهد من جيب ردائه الأيسر سكينًا كبيرًا ثم أشار إلى أميرة فنزعا هما الاثنان ردائيهما ليظهر جسداهما العاريان وقد غطى جسد كل منهما

وشم لتنين ينفث النيران بطول الظهر وعلى البطن وشم لتيس يصرخ، اقترب هدهد من رامي ومسح على شعره قائلًا: «رامي.. حبيبى.. أنت عارف أنا هأعمل فيك إيه؟ أنا هادبحك» قالها ثم قهقه ضاحكًا، فقال رامي: «عمو ربنا يخليك سيبني أروح» صفعه هدهد بقوة على وجهه ثم أشار مرة أخرى إلى أميرة فبدأ يترنم بصوت خفيض هو وهي بكلمات غير مفهومة وأحست ميمي برائحة كريهة جدًا تغزو الغرفة رغم رائحة البخور القوية، وطوال فترة الترانيم كان رامي يتوسل ويبكي، بينما كانت ميمي ترتجف، وعندما انتهيا من الترانيم قال هدهد: «سيدنا الأعظم أهب لك هذا القربان الذي لم يتلوث لنلوثه نحن فرسان الظلام» ثم وضع الدلو أسفل رامي وأشهر السكين وأمسك رامي -الذي فقد التحكم في البول- من شعره ثم ذبحه، هنا لم تستطع ميمي أن تحتمل أكثر من هذا ففقدت الوعي وسقطت على الأرض، لم يُعرها هدهد وأميرة أي انتباه وهما يمدان أيديهما تحت الصبي المذبوح ليملآها بالدم ويمسحان به جسديهما العاريين، بينما تساقط الدم داخل الدلو، ظلا يفعلان هذا حتى توقف الدم عن السيلان، ثم أمسك هدهد الدلو فأخذ منه رشفة ثم أعطاه لأميرة فشربت منه ثم تمددت أميرة على ظهرها أسفل رامي وباعدت بين ساقيها.

الفصل الثالث

جلست هناء تفكر لقد مر يومين على مقابلتها لهدهد وحضرت ولادتين ولم تستطع أن تحقن أيا من الطفلين بالسائل، كانت قد أخذت معها القارورة ولكنها لم تستطع، ضعفت أمام براءة الطفلين، فهما ليس لهما ذنب في هذا كله، هي لن تستطيع أن تفعل ما طلبه منها، وهكذا أخذت قرارها ستعود إليه لتخبره أنها لن تستطيع أن تفعل هذا الأمر، وستذهب إليه وحدها دون أميرة، فأميرة ستضغط عليها وهي جربت وعرفت أنها لن تستطيع، قالت: «أيوة أنا هاروح له.. وبعدين أنا مأخدتش منه حاجة.. ده كان مجرد كلام»، ارتدت ملابسها وأخبرت أمها أنها ستذهب لتشتري بعض الأشياء مع أميرة ونزلت وركبت السيرفيس وتوجهت إلى مكتب هدهد، هي لا تعرف إن كان مكتبه أو بيته، كان الوقت عصرًا والشارع هادئًا، لم يكن البناء يبدو مرعبًا كما رأته أول مرة، بل كان يبدو طبيعيًا، مجرد مبنى، ضغطت على زر جرس الباب وانتظرت ففتح لها هدهد بنفسه، تفاجأت إذ لم تكن تتوقع أن يفتح الباب بنفسه، بل كانت تظن أنه لا يغادر مكتبه كأنه كاهن لا يغادر معبده، وكان يرتدي بيجامة وشعره ثائر كأنه كان نائمًا واستيقظ على صوت الجرس،

كان مظهره مفاجئًا لها، فهي كانت تضعه في مرتبة غير بشرية، ولكنه بدا لها بشريًا، بشريًا أكثر من اللازم إذا جاز التعبير، قال لها بدون أن يبدو عليه أي مفاجأة من رؤيتها: « تعالي يا هناء» دخلت فأغلق الباب خلفها ثم فتح باب مكتبه وقال لها: « تعالي»، مشت إلى مكتبه وهي تشم رائحة كريهة جدًا، وقالت في سرها: «هي المجاري طافحة في البيت ولا إيه؟»، أغلق باب المكتب خلفها وجلس خلف مكتبه وأشار لها أن تجلس على الكرسي الوحيد بالغرفة وقال لها متسائلًا: «خير؟» جلست على الكرسي وقالت: «أنا مش هأقدر أعمل اللي أنت عايزه مني.. أنا فعلًا آسفة بس مش هأقدر». قالت الجزء الأخير من جملتها وهي تقوم وتُخرج القارورة من حقيبتها وتمد يدها بها إليه، نظر ليدها الممدودة وإلى القارورة ثم رجع بظهره إلى الوراء متسائلًا: «إنتي واخدة الموضوع هزار يا هناء؟»

- «لا والله بس أنا مش هأقدر».

- «إنتي لازم تقدري لان إحنا اتفقنا خلاص.. إنتي نسيتي؟»

- «أيوة بس ده كان كلام وأنا ساعت الجد ماقدرتش».

- «بصي يا هناء أنا كلمتي واحدة.. ومافيش حاجة اسمها رجعت في كلامي.. إنتي لازم تنفذي».

- « بس..».

- «مابسش.. إنتي ماحدش ضربك على إيدك».

- «أنا ساعة الجد ماقدرتش.. آسفة».

قالت جملتها الأخيرة ووضعت القارورة على المكتب أمام هدهد واستدارت

لتخرج من المكتب فقط لتجد أن أمامها حائطًا ليس به باب، اتسعت عينيها في رعب وعدم فهم ثم تمتمت بصوت مرتجف: «هو الباب فين؟»، ثم التفتت إلى هدهد قائلة بصوت مسموع: «هو الباب فين؟» التفتت لتجده أمامها ووجهه يبعد عن وجهها سنتيمترات قليلة، فكرت كيف تحرك بهذه السرعة وبدون إحداث أي صوت، كان يحدق في عينيها بعينين لا تطرفان وأنفاسه الكريهة تلفح وجهها، قال لها وعلى وجهه علامات الغضب حتى كادت تُقسم أنها رأت في عينيه نيران مشتعلة» إنتي بتدخلي الباب ده بمزاجك إنتي لكن مابتخرجيش منه إلا بمزاجي أنا.. فاهمة؟» أومأت برأسها أن نعم وهي عينيها معلقة بعينيه كأنها مسلوبة الإرادة، فأردف قائلًا: «الحكاية دي مالهاش نهاية سعيدة.. يا إما تنفذي وتكوني خدامة لسيدنا.. يا إما ماتنفذيش وساعتها هأقتلك إنتي وجوزك وبنتك وأمك.. لا هأخليكي إنتي اللي تقتليهم وبعدين تنتحري» كانت ما زالت مشدوهة لا تفهم، كانت تفكر «مين سيدنا؟.. وقتل إيه؟.. وخدامة إيه؟.. أنا كل اللي عايزاه أن جوزي يرجع لي.. بس قتل؟ أنا هاروح للبوليس» كأنما قرأ أفكارها فقال لها: «البوليس مش هينفعك.. إنتي لسه مافهمتيش.. الموضوع أكبر منك ومن البوليس.. ولو روحتي للبوليس مش هينفعك بحاجة لأنك مش هتقدري تثبتي حاجة»، قالها ثم اتجه إلى مكتبه ليجلس خلفه، فقالت له: «بص ربنا يخليك أنا مش عاوزة أكون خدامة لحد.. أنا كل اللي عايزاه أن جوزي يرجع لي ويحبني زي الأول».

- «ماشي.. خلاص نفذي وجوزك هيرجع لك».

- «وتسيبني في حالي بعد كده؟»

- «طبعًا ما هو ده كان اتفاقنا.. بس أنا ماحدش يرجع في كلامه معايا أبدًا.. فاهمة؟»

- «فاهمة.. حاضر».

***

جلست هنا في عيادة الدكتور تفكر، فاليوم جاءت حالتان ولادة ولكن الدكتور أخبرهما أن يذهبا لمنزلهما لأنهما كانتا ولادة لأول مولود وهذه الحالات تأخذ وقتًا طويلًا، وطلب منهما العودة عندما تكون انقباضات الرحم متقاربة، كانت تفكر أن هذان طفلان فباقي إذن طفل واحد وتكون أنهت ما طُلب منها وتستريح من هذا الكابوس، فقالت بصوت هامس: «يا رب خلصني من الموضوع ده وأنا هأصلي لك طول العمر» فهي لم تكن تصلي أو تقرأ القرآن ولكنها كانت تأمل أن تنجو من محنتها وتواظب على الصلاة، وهمست بعد أن تذكرت شيئًا: «وهأقرأ قرآن كمان.. بس خلصني» ومرَّ الوقت وجاء أحمد الخشَّاب ومعه فايزة تصرخ من الألم وهو يعينها على المشي وقال: «الدكتور فين يا أبله؟»

- «موجود.. موجود.. خشّوا إنتوا بس أوضة الولادة».

قالتها وفتحت لهم باب غرفة الولادة فدخلا وأغلقت خلفهما الباب وذهبت إلى الطبيب تخبره، فدخل غرفة ليرتدي داخلها ملابس العمليات وكان لهذه الغرفة باب مشترك مع غرفة الولادة، فدخل منه إلى غرفة الولادة وقال لأحمد: «اتفضل انتظر برّه لو سمحت». نظر أحمد لفايزة فأومأت له برأسها وقال له الطبيب: «ماتخفش.. اتفضل.. اتفضل». خرج أحمد وانتظر وجاءت أمه وحماته وتنفسوا الصعداء عندما سمعوا صوت بكاء الطفل من

الداخل، هذا كان في الوقت الذي أخذت فيه هناء الطفل ودخلت به الغرفة الملحقة بغرفة الولادة بالطفل لتعطيه لأهله، كانت قد جهزّت كل شيء فملأت محقنان بالسائل، الذي فوجئت بأنه غير لزج رغم الانطباع الذي يعطيه بأنه لزج، ووضعتهما في الغرفة حتى تحقن الطفلين بسرعة، فأخرجت المحقن من درج منضدة موجودة بالغرفة ووضعت الطفل على المنضدة وقربت المحقن منه وهي تفكر: «إيه اللي أنا بأعمله ده؟.. الولد ده بس ذنبه إيه؟.. بس أنا كمان ذنبي إيه؟.. أنا ماغلطّش في حاجة.. اللي عمل لي السحر هو اللي غلطان.. أيوة دم الولد ده في رقبته.. بس دم إيه بس.. هو الولد مش هيجراله حاجة»، «أيوة مش هيجراله حاجة» قالتها بصوت مسموع وغرزت المحقن ودفعت المكبس وهي تغلق عينيها خائفة مما يمكن أن يحدث، ولما فتحت عينيها وجدت أنه لم يحدث شيء، نزعت المحقن من الطفل الذي كل الذي فعله هو أن ارتفع صوته بالبكاء، ابتسمت وقالت: «ماحصلش حاجة.. الحمد لله»، وسمعت الطبيب يقول: «هناء.. تعالي.. دول طلعوا توأم»، ابتسمت وقالت بصوت خفيض: «الحمد لله» ثم رفعت صوتها وقالت: «حاضر.. جاية أهه»، خرجت فأعطت الطفل لأبيه وأخبرته أنهما توأمان فتهللت أساريره، وأطلق على المولود اسم مدحت، وفعلت هناء مع المولود الثاني -الذي أطلق عليه أبوه اسم خالد- نفس ما فعلته مع المولود الأول، وأيضًا لم يحدث شيء للمولود الثاني مما زادها ثقة في انتظار المولود الثالث وعلمت هي أنها ستنتهي اليوم مما طُلب منها وأعطاها هذا شعور بالسعادة، فالأمر اتضح أنه آمن جدًا ولا يؤذي الأطفال، وجاءت سارة مع إبراهيم ووضعت أنثى فأخذتها هناء وحقنتها بثقة بالسائل؛ فهي كانت مطمئنة؛ لأن الطفلين الأولين مرَّا بسلام ولكن ما إن حقنتها بالسائل حتى شهقت البنت وماتت.

***

أخذت هناء تفكر وهي في التاكسي فيما حدث، فهي ما زالت غير متمالكة لأعصابها بعد ما حدث فلم تستطع المشي، كل ما كانت تذكره هو الأم وهي منهارة من البكاء والأب ودموعه تغرق وجهه في صمت وهو يقول: «الحمد لله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. لله ما أعطى ولله ما أخذ وكل شيء عنده بقدر»، قاطع أفكارها صوت سائق التاكسي وهو يقول: «وصلنا يا مدام»، نزلت من التاكسي وصعدت إلى بيت أمها وهي ما زالت على حالتها وفتحت الباب لتجد مجدي جالسًا محتضنًا ورد وأمها جالسة أمامه، فسقطت مفاتيحها من يدها وقد تجمدت عينيها عليه، فأعطى ورد لأم هناء وأمسك ببوكيه ورد كان بجانبه وقام إليها وهي ما زالت معلَّقة عينيها به، ثم مد يده بالورد إليها وقال مبتسمًا: «أنا آسف يا هناء.. مش عارف إيه اللي جرى لي.. أنا بحبك قوي وماقدرش أعيش من غيرك.. ارجعي بيتك علشان خاطري.. وعلشان خاطر ورد» كانت تنظر في عينيه وترى نظرة لم ترها منذ فترة طويلة، لا بل لم ترها من قبل، نظرة عاشق مُتيَّم، وفكرت «الموضوع طلع بجد.. مجدي رجع لي وورد مش هتضيع» فبكت وسقطت منها حقيبة يدها وارتمت بين يدي مجدي الذي احتضنها فمادت بها الأرض وفقدت الوعي بين يديه، لم تشعر أنها غابت عن الوعي إلا لحظة، وعندما أفاقت وجدت نفسها في السرير، ثم جال بخاطرها أنها كانت تحلم وأن مجدي لم يصالحها فانتفضت جالسة لتجد مجدي جالسًا على كرسي بجانب السرير مبتسمًا وقال لها: «صحِّي النوم».

- «هو أنا نايمة بقالي كتير؟»

نظر في ساعته وقال: «ساعتين».

- «يا خبر.. وأنت قعدت جنبي كل ده؟»

- «أيوة» ثم ابتسم وقال: «وحشتيني».

شعرت هناء أن كل مشاكلها قد حُلَّت وأنها ستعيش حياة هادئة، ولكنها تذكرت شيئًا «لازم أروح للشيخ أعرف مين اللي كان عمل لي العمل ده» هكذا فكرت فقالت:»وأنت كمان».

- «مش هتقومي نروح بقى؟»

- «طبعًا، بس أنا النهارده تعبانة شوية إن شاء الله بكرة أرجع البيت».

- «حرام عليكي.. إيه ماوحشتكيش؟»

- «لا والله وحشتني.. بس مش قادرة زي ما أنت شايف».

- «ماشي يا حبيبتي بكرة هآجي أخدكم».

انتظرت حتى نزل من بيت أمها ثم ذهبت إلى هدهد لتسأله عمن وراء هذا السحر الذي أفسد عليها حياتها، وعندما وقفت أمام الباب فكرت: «إيه اللي أنا بأعمله ده؟.. أنا إيه اللي جابني تاني؟.. أنا مشكلتي اتحلت خلاص.. وده راجل مُخيف قوي.. بس أنا لازم أعرف مين اللي عمل لي العمل ده علشان آخد بالي منه ومأدخلوش بيتي تاني.. أيوة أنا لازم أعرف»، حزمت أمرها وضغطت على زر جرس الباب، فتحت لها ميمي وقالت لها: «مولانا في انتظارك». اتسعت عيناها وهي تقول بصوت مرتجف: «هو عارف أن أنا جايا؟» قالت بدون أي انفعال: «مولانا بيعرف كل حاجة».

دخلت هناء ووقفت في وسط الصالة تنظر إلى ميمي التي أشارت إلى غرفة مكتب هدهد قائلة: «ادخلي هو منتظرك». فتحت الباب ودخلت لتجد هدهد على الهيئة التي رأته عليها أول مرة، يرتدي السواد، بادرها بابتسامة

قائلًا: «هه إيه الأخبار؟» ابتسمت وقالت: «كله تمام».

- «يعني أنا وفيت بوعدي؟»

- «أيوة.. بس في عيلة من التلاتة ماتت».

- «مش مهم.. المهم أنك نفذتي.. مش مهم النتايج».

- «بس...».

- «مابسّش.. إنتي نسيتي إنتي جايالي ليه؟»

- «أيوة صحيح.. أنا عايزة... «قاطعها قائلًا: «إنتي عايزة تعرفي مين عمل لك السحر.. صح؟»

- «صح» ثم ابتسمت وقالت:» أنت على طول كده عارف كل حاجة؟»

- «اللي عملت لك السحر هي إلهام» اتسعت عيناها في دهشة وقالت: «إلهام مين؟ إلهام بنت خالتي؟ دي زي أختي.. لا دي أختي فعلًا.. دي أكتر انسانة أنا بأثق فيها».

- «ما هي الخيانة كده بتيجي من أقرب الناس.. هتلاقي السحر ده محطوط في شق في الحيطة ورا رجل الكنبة اليمين».

- «مش ممكن.. طيب هي تخرب عليا ليه؟»

- «الشر موجود يا هناء ماتبقيش هبلة.. يمكن بتغير منك.. يمكن بتكرهك بس بتظهر أنها بتحبك.. المهم أنك تقطعي علاقتك بيها نهائيًا».

- «طبعًا بس هأروح أتأكد الأول» خرجت من عنده وهي لا تستطيع الانتظار حتى تتأكد ودخلت ميمي على هدهد وسألته: «اشمعنى قولت لها إلهام؟»

- «لأنها أعز واحدة عندها».

- «طيب وإحنا استفدنا إيه من كده؟»

- «ده شغلنا.. نوقع بين الناس اللي بيحبوا بعض.. ونحول الحب لكراهية وقطيعة.. وبعدين يبقى السيطرة عليهم أسهل».

- «وهي هبلة يعني تصدق منك، وهي ماتعرفكش، على بنت خالتها اللي متربية معاها».

- «الناس سهل جدًا الإيحاء ليهم، بس أهم حاجة تلعبيها صح».

- «إزَّاي؟»

- «يعني معلومتين صح وقدامهم عشرة غلط.. ووعد توفي بيه وعشرة لا.. كده كل ما تيجي تشك فيكي هتفتكر المعلومة الصح والوعد الصح».

- «وده كفاية؟»

- « طبعًا لا.. في كمان أن الناس عايزة تصدق أنها مسحورة أو معمول لها عمل؛ لأنها بالطريقة دي ماتبقاش غلطانة، ويبقى الذنب مش ذنبها».

- «بس هناء فعلًا مسحورة.. إحنا اللي عملنا لها السحر بمساعدة أميرة».

- «صحيح.. بس أنا بأتكلم في العموم».

- «يعني قصدك أن حتى لو هي مش مسحورة ممكن تخليها تقتنع أنها مسحورة؟»

- «أيوة.. وبعدين أما تجيلي أنا أعملها سحر بجد.. بس لأن الموضوع ده خطير ومهم لخطة سيدنا فمينفعش نسيب حاجة للصدفة.. فعملنالها سحر من الأول».

كانت هناء في بيت أمها تجهز نفسها وبنتها للعودة لبيتها بعد أن اتصلت بمجدي ليأتي ليأخذها، فهي لم تعد تطيق الانتظار لغد حتى تتأكد مما قاله هدهد، وعندما وصلت البيت انتهزت أول فرصة ونظرت في المكان الذي أخبرها عنه هدهد فوجدت فعلًا ورقة مطوية بعناية، ففتحتها فوجدت فيها كلامًا مكتوبًا بخط صغير للغاية لم تستطع قراءته فطويت الورقة وحرقتها، وفعلًا قطعت علاقتها بإلهام التي لم تفهم ماذا فعلت لتستحق هذه المعاملة، وحاولت أن تعرف السبب لكن هناء لم تخبرها بشيء، وعاشت هناء في سعادة لم تر لها مثيل من قبل واختبرت مشاعر وأحاسيس لم تكن تعلم بوجودها، وفي غمرة سعادتها نست وعدها بالصلاة وقراءة القرآن، استمرت السعادة لمدة خمسة وخمسين يومًا، وفي اليوم السادس والخمسين عادت من عملها لتجد مجدي جالسًا شاردًا وعلى وجهه علامات التفكير العميق، اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه فأزاح كتفه للأمام بعيدًا عن يدها، فنظرت له بدهشة وما زالت يدها معلقة في الهواء وقالت: «خير.. مالك يا مجدي؟»

- «هناء».

- «نعم يا روح قلب هناء».

- «إحنا لازم نتطلق».

***

لم تستوعب هناء ما حدث في يوم واحد، فلقد عادت لتسمع من مجدي نفس الكلام، لكنها لم تنتظر هذه المرة، بل لقد ذهبت في اليوم التالي إلى هدهد وجلست أمامه تقول: «أنا مش فاهمة».

- «خير؟»

- «هو أنت مش فكّيت السحر؟»

- «أيوة».

- «وأنا قاطعت إلهام خلاص».

- «جميل».

- «بس مجدي رجع يكرهني تاني».

- «يبقى هي عملت أكتر من سحر واحد».

- «والعمل؟»

- «نفك السحر التاني ده».

- «طيب ما تفكّه يالّا».

- «طبعًا.. طبعًا.. بس مش لما نتفق؟»

- «نتفق على إيه؟»

- «يعني أنا هأفك لك السحر مقابل إيه؟» شحب وجهها وهي تقول: «أنت عايز إيه؟» ابتسم قائلًا: «زي المرة اللي فاتت».

- «يعني إيه؟»

- «يعني تحقني تلات أطفال تانيين».

- «ماقدرش.. بقول لك في واحدة منهم ماتت».

- «وإيه يعني؟»

- «يعني إيه وإيه يعني؟»

- «يعني ماتشغليش بالك بمين عاش ومين مات.. المهم إنتي تبقى سعيدة إنتي وبنتك وجوزك».

- «إزَّاي بس؟.. أنا مرضاش للناس اللي مارضاهوش لنفسي».

- «كلام فاضي.. أي حد مكانك كان هيعمل اللي بأقول له عليه من غير تفكير.. يا بنتي ده الناس بتكرهك لدرجة أنهم بيسحروا لك».

- «لا أنا مش هقدر أتحمل موت عيل تاني.. شوف لي حل تاني».

- «مافيش حل تاني.. وبعدين الموضوع مش بمزاجك».

- «يعني إيه مش بمزاجى؟»

- «زي ما قولت لك قبل كده إنتي تدخلي الباب ده بإرادتك، لكن الخروج منه مش بإرادتك» نظرت خلفها لتتأكد أن الباب موجودًا وتنهدت بارتياح إذ رأته أمامها وقالت: «يعني أنا لو خرجت دلوقتي وماعملتش حاجة من اللي أنت عايزها هتعمل إيه؟»

- «بيتك هيتخرب وبنتك هتتشرد».

- «خراب البيت أهون من القتل.. أنا نفسي هأقول لمجدي أني موافقة على الطلاق» ابتسم ابتسامة وحشية وقال: «واضح أن الذوق مش هيجيب معاكي نتيجة.. بصي بقى إنتي هتعملي اللي قولت لك عليه وإلا أنا هأقتل لك بنتك بعد لما...» ارتعدت فرائصها عندما هددها باغتصاب بنتها وقتلها وقالت: «أنت فاكرها سايبة.. أنا هأبلغ البوليس».

- «إنتي لسه مافهمتيش.. البوليس مش هينفعك.. مفيش قوة تقدر تحميكي مني.. الموت بس اللي هينقذك إنتي بس مش هينقذ ورد» كانت صامتة لا تدري ماذا تقول، فأردف هو: «هما اختيارين يا إما تعملي اللي أقول لك عليه على طول.. وفي الحالة دي تعيشي سعيدة مع جوزك وتفرحى ببنتك.. يا إما هأخليكي تندمي على اليوم اللي اتولدتي فيه» ظلت صامتة فقال: « أنا

هديكي فرصة لغاية بكرة تفكري وتردي عليا، ولو لغاية بكرة زي دلوقتي ماجيتيش هأعتبر أن ده رفض، وساعتها إنتي عارفة اللي هيحصل».

***

جلست هناء في غرفتها في بيت أمها وقد أطفأت النور وأسدلت الستائر فأصبحت الغرفة مظلمة رغم أنها التاسعة صباحًا، كانت ممددة على السرير بجانب ابنتها تفكر «أعمل إيه بس؟.. إيه اللي أقدر أعمله؟.. أنا ماقدرش أتسبب في موت طفل تاني.. بس بنتي.. بنتي أحميها إزّاي؟.. هأروح للبوليس.. بس هو قال إن محدش يقدر يحمينى منه.. هو يقول اللي يقوله.. بس هو فعلًا قوي.. ده قدر يخفي باب مكتبه.. لكن أنا لازم أحاول.. لكن ممكن لو عرف يضر البنت.. لا مش لو عرف ده أكيد هيعرف.. ده راجل مش سهل أبدًا.. أعمل إيه بس؟.. أعمل إيه؟.. آه ياني يا أمه.. لا أنا هأروح البوليس ده أحسن حل» كانت قد أغمضت عينيها وهي تفكر وفتحت عينيها عند هذه النقطة من تفكيرها لتجد خيالًا لشخص داخل غرفتها ينحني على ابنتها التي كانت بجانبها وفي يده شيء يلتمع في ظلام الغرفة، شهقت واتسعت عيناها في رعب ثم صرخت وعندها أدار ذلك الشخص لها وجهه فرأته رغم الظلام، لقد كان هدهد، استدارت لتضغط زر إضاءة النور وعندما أعادت نظرها إليه كان قد اختفى مع صوت ارتطام معدني بالأرض، رمشت بعينيها ثم فركتهما على صوت بكاء ورد واقتحام أمها للغرفة، فوجدت أن الغرفة خالية إلا منها وأمها وابنتها، قالت لها أمها: «خير يا هناء؟» حملت هناء بنتها وضمتها إلى صدرها وقالت: « أبدًا.. كابوس يا ماما» أمسكت بالباب لتغلقه وهي تقول: « طيب حاولي تنيمي البنت وتنامى شوية» صرخت تقول: «لا».

التفتت إليها أمها متسائلة فقالت هناء: «سيبي الباب مفتوح يا ماما» تركت أمها الباب مفتوحًا وخرجت، في حين ظلت هناء تفكر في ما حدث، هل من الممكن أن يكون ما حدث مجرد هلاوس، ولكنه بدا حقيقيًا جدًا ونظرة عين هدهد المتوعدة لا يمكن أن تكون هلاوس، رأت عند هذه النقطة شيئًا يلمع بانعكاس الضوء عليه فقامت وهي ما زالت تحمل بنتها لترى ما هذا فوجدته مبرد أظافرها، اتسعت عينيها في رعب وشهقت واضطرب جسدها كله لدرجة أن ابنتها شعرت بهذا الاضطراب فبدأت في البكاء، فكرت «يبقى اللي حصل ده حقيقي.. هدهد كان هنا وكان معاه المبرد بتاعي.. آه هو المبرد بتاعي هو أنا هأتوه عنه.. برضه أتأكد» قامت عند هذه النقطة لتفتح درج التسريحة لتجد أن مبردها غير موجود، فكرت «يالهوي.. يعني ده كان حقيقي.. أمال هو راح فين؟.. يبقى هو لسه في الأوضة لأنه مايلحقش يخرج من الأوضة عقبال لما نورت النور.. يبقى الحل الوحيد أني أصوت وألم الناس.. بس نفترض جم ومالاقوش حد هيقولوا عليا اتهبلت.. خلاص أدور أنا تحت السرير وجوا الدولاب هما المكانين دول اللي ممكن يستخبى فيهم.. ولو لاقيته هأصوت وألم الناس قبل ما يلحق يعمل حاجة.. أيوة صح» عند هذه النقطة أمسكت المبرد كأنه سلاح وأحكمت قبضتها عليه وهي ما زالت تحمل ابنتها وانحنت لتنظر تحت السرير بحذر فلم تجد شيئًا، قامت واتجهت إلى خزانة الملابس ذات الثلاثة أجزاء، كل جزء مغلق ببابين، فتحت الجزء الأول وكان خاليًا من الملابس، نظرت فلم تجد شيئًا وفتحت الجزء الثاني وكان منقسم إلى نصفين بلوح خشبي مستعرض وكان فيه ملابسها وملابس ابنتها، أيضًا لا يوجد شيء، اتجهت إلى الجزء الثالث وكان يحوي بعض الأغراض القديمة وفتحته ولم تجد شيئًا، بهتت لهذا وفكرت «يعني إيه بقى؟.. أمال هو فين؟.. ممكن يكون

خرج من الأوضة واستخبى في الشقة.. لو خرج من الأوضة يبقى أكيد مشي من الشقة كلها.. طيب أعمل إيه؟.. أول حاجة أنا هأتأكد ان الشقة فاضية وبعدين هأقفل كل الشبابيك والأبواب.. أيوة هأعمل كده» فعلت فعلًا ما عزمت عليه، وعندما فرغت تنهدت في ارتياح ونامت مرة أخرى بجانب ابنتها وأغمضت عينيها، مر وقت لا تدري كم بالضبط، فهي كانت بين النوم واليقظة، كانت تنام وتصحو، تقلبت على جانبها الأيمن فكان وجهها مواجهًا لورد وفتحت عينيها لتجد هدهد مرة أخرى ينظر إليها ويبتسم وفي يده المبرد يمسكه محكِمًا قبضته عليه كأنه خنجر وقد رفعه في الهواء حانيًا ظهره فوق ورد، ولما تلاقت عيناهما هوى بالمبرد على قلب ورد مباشرة فصرخت: «لاااا» واعتدلت في السرير فقط لتفهم أنها كانت تحلم وأن هذا كان مجرد كابوس، كانت ورد قد استيقظت على صراخ أمها، فمالت أمها عليها لتحملها وهي تقول: «أعوذ بالله من الش...» بترد استعاذتها وتجمدت في مكانها وقد اعترتها رعشة مع برودة في أطرافها وقد رأت مبرد أظافرها مغروسًا في الوسادة بجانب رأس ورد.

***

كان عقل هناء قد أُرهق من التفكير وهي جالسة على الكرسي في غرفتها، فقد زهدت نفسها في الفراش بعد ما حدث وما رأت، فهي نفسها لم تكن تعلم هل هذا كان كابوس أم هلاوس أم حقيقة، فهدهد قد أخبرها أنه لا مهرب منه وأن الشرطة لن تقدر على مساعدتها، فالأمر أكبر من الشرطة، ولكن ما المهرب من هذا كله فهي تكاد أن تجن أم هي قد جُنّت فعلًا؟ هي لا تستطيع أن تغامر بابنتها، فلو الأمر اقتصر عليها لفضلت الموت والخلاص

من هذا البؤس الذي تعيش فيه، عند هذه النقطة فكرت «الموت.. ممكن يكون ده هو الحل الوحيد.. لكن هأسيب البنت لوحدها للمجرم ده يعمل فيها اللي هو عاوزه.. لا ماقدرش.. لكن كمان أنا مش هقدر أعيش كده.. يبقى أعمل له اللي هو عايزه.. بس أنا كمان ماقدرش أتسبب في موت طفل تاني.. لكن في طفلين ماماتوش.. يعني ممكن التلاتة المرة دي يعيشوا.. أيوة صح ممكن يعيشوا كلهم وماحدش يموت.. بس ممكن برضو التلاتة يموتوا.. لا أنا ماقدرش أتحمل أني أكون السبب.. أمال يبقى إيه الحل؟.. مفيش غير الموت لكن هآخد بنتي معايا.. مش ممكن أسيبها ليه أبدًا» نظرت إلى ابنتها النائمة وقالت هامسة: « سامحيني يا ورد.. سامحينى يا بنتي» ثم تهدج صوتها وهي ترفع عينيها لتنظر لأعلى قائلة: « سامحني يا رب».

وفي الصباح استيقظت أمها لتدخل دورة المياه لتجد أمامها هناء الراقدة داخل حوض الاستحمام الممتلئ بالماء وقد قطعت شرايين يدها بشفرة الحلاقة وكانت ابنتها ورد طافية على الماء وقد فارقت الحياة.

الفصل الرابع

جلست ميمي في مكتب هدهد وقالت له: « إحنا كده بقينا في مشكلة بعد لما هناء انتحرت».

- «بالعكس إحنا كدة كويسين قوي».

- «إزَّاي؟»

- «القتل عمومًا شيء يسعدنا، فما بالك باللي يقتل نفسه.. ده بقى هو المراد».

- «ليه؟»

- «لأنه لو قتل حد تاني ممكن يتوب، ’نما لما يقتل نفسه هيتوب إزَّاي؟»

- «طيب و إحنا يضرنا في إيه أنه يتوب؟»

- «بصّي هقربها لك.. إحنا بنقعد نبني كأننا بنبني عمارة.. وتيجي التوبة دي تهد كل اللي إحنا بنيناه ونبدأ نبني من جديد».

- «فهمت.. بس إحنا كده مين هيحقن لنا العيال بعد هناء ما انتحرت؟»

- «يااااه.. البهايم كتير».

- «هو أنا امتى يا مولانا سيدنا هيثق فيا وأبتدي أشتغل زيك؟»

- «كل حاجة ليها وقتها.. بس إنتي بتتعلمي بسرعة.. ممكن نعمل لك اختبار صغير كده».

- «اختبار إيه؟»

- «عايزك تعلقي شاب وتخليه يسب الدين لأمه ويسجد لك».

- «ماشي».

- «تحتاجي لوقت قد إيه؟»

- «مش عارفة.. قول شهر».

- «غلطانة».

- «ليه؟»

- «لأن الوقت ده يعتمد على الولد اللي هتختاريه.. يعني لو هو بيصلّي هيآخد وقت أطول من اللي مابيصليش، لو بيحب أمه هيآخد وقت أطول من اللي مابيحبش أمه.. وهكذا».

- «طيب يبقى أنا أختار اللي هيكون أسهل».

- «هي مابتتحسبش كده.. فعلًا الأسهل هييجي معانا بسرعة، لكن اللي صعب ده سيدنا يحب أن إحنا نجيبهوله»

- «ليه سيدنا يحب كده؟»

- «لأن السهل ده غالبًا كده كده هييجي لسيدنا هي مسألة وقت بس.. إنما الصعب ده ممكن يفلت من سيدنا ففرحته بيه بتبقى كبيرة وتقديره للي يجيبه بيبقى كبير».

- «يعني المفروض تكون مواصفات الولد إيه؟»

- «يكون متدين بس مش متعلم دينه».

- «يعني إيه؟»

- «يعني يكون حابب دينه بس مايعرفش إيه اللي المفروض يعمله وإيه اللي المفروض مايعملوش.. هو بس متحمس.. عارفة الغشيم المتعافي؟»

- «أيوة أنا كده فهمت قصدك».

- «يبقى إحنا عايزين ولد مواصفاته إيه؟»

- «متدين بس جاهل بدينه مايعرفش إيه صح وإيه غلط».

- «تمام كده وطبعًا لو كان مابيعرفش يقرأ ويكتب يكون أحسن.. ولو بيقرأ يبقى يكون بيقرأ كلام فاضي مش مفيد.. يعني يكون مابيقراش في الدين».

- «في حد معين في دماغك؟»

- «أيوة في ولد شغال في صيدلية.. يتهيأ لي الولد ده مناسب».

- «ويا ترى حلو الولد ده؟»

- «يا ش...».

- «يوه يا مولانا بقى.. بسأل بس».

- «إحنا مايهمناش الشكل إحنا يهمنا المضمون.. حتى لو كان قرد برضو لازم تنفذي المطلوب».

- «يعني الواحدماينفعش يشتغل ويتبسط؟»

- «الشغل شغل.. لكن تنبسطي إيه المشكلة بس مع حد تاني.. لكن

ماينفعش تحبي مثلًا الحالة اللي إنتي شغالاها.. كده ممكن يصعب عليكي.. وده ماينفعش في شغلنا».

- «يعني ممكن أحب فعلًا؟»

- «طبعًا ممكن تحبي.. ممكن تحبي اللي يعجبك.. ممكن تحبي كل يوم واحد».

- «هههههه.. مش للدرجة دي.. طيب هأبتدى امتى مع الولد ده؟»

- «من بكرة لو عاوزة.. الصيدلية صاحبها أنا أعرفه وهأكلمه عليكي.. هه تبتدي امتى؟»

- «أول الأسبوع اللي جاي».

- «ماشي..إنتي هتحتاجي تفكري تلبسي إيه علشان يخدم الخطة اللي إنتي هتنفذيها».

- «يعني إيه؟»

- «هو إنتي رايحة تهرجي.. ده شغل، وشغل خطير كمان.. لو هتدلعي قولي من دلوقتي وبلاش منه».

- «لا أنا عايزة أنجح في المهمة بتاعتي، بس مش فاهمة إيه دخل اللبس بالموضوع؟»

- «أفهمك.. إنتي ناوية تدخلي عليه دخلت البنت المتدينة ولا الجريئة ولا الهبلة ولا إيه بالضبط؟»

- «الهبلة؟»

- «أيوة.. البنت الهبلة دي بتعجب أغلب الرجالة.. دي اللي الراجل يحس

أنها بتغلط علشان هي طيبة وهبلة وفاكرة أن كل الناس كويسين.. بتتصرف كأنها طفلة.. دي بتحسس الراجل بالذنب دايمًا وبيحس أنه لو اتخلى عنها بيكون خاين».

- «حلوة البنت الهبلة دي».

- «اتفقنا.. الولد اسمه مصطفى.. هنروح نبص عليه من بعيد كده علشان تاخدي فكرة عنه».

- «ماشي».

ذهبًا إلى الصيدلية ليرياه ووقفا على الجانب الآخر من الطريق، كان المؤذن يرفع أذان المغرب فاستأذن مصطفى من الصيدلي فكري صاحب الصيدلية ليذهب للصلاة، كان ملتحيًا لحية متوسطة الكثافة، نحيل الجسد وكان يمشى للمسجد لا ينظر يمينًا ولا يسارًا وكانت شفتيه تتحرك بتمتمة لا يسمعانها من مكانهما، فسألت ميمي: «هو بيقول إيه؟» ابتسم ابتسامة ساخرة ورد: «بيقرأ قرآن».

- «ليه؟»

- «علشان يحميه».

- «طيب وهو بيحميه فعلًا؟»

- «أيوة».

- «يعني إيه مش هنقدر نعمل له حاجة؟»

- «لا طبعًا هنعمل له اللي إحنا عايزينه».

- «أمال يعني إيه أنه بيحميه؟»

- «أصل إنتي مش شايفة اللي أنا شايفه؟»

- «وأنت شايف إيه؟»

- «شايف الشياطين بتحاول بس مش قادرة من الحماية».

- «أمال إحنا هنقدر إزَّاي؟»

- «دي ميزتنا، إحنا ممكن نتواجد مع القرآن عادي ونصلي مع الناس عادي برضو، ماعندناش مشكلة نهائي».

- «ده إحنا كده أقوى».

- «تقدري تقولي بنكمل بعض.. الحاجة اللي مانقدرش عليها هما يعملوها والحاجة اللي مايقدروش عليها إحنا نعملها».

قالها ثم اتجها إلى بيتهما الذي هو في نفس الوقت مكتب هدهد، وعندما دخلا ذهبًا إلى غرفة مكتب هدهد وقال هدهد: «أهم حاجة تعرفي أن الصبر هو مفتاح النجاح.. يعني أنا لو قولت لواحد متدين اكفر هيرفض طبعًا وهيقاطعني ويبقى أنا كده خسرت فرصتي معاه».

- «أمال إيه الصح؟»

- «اعتبريها رحلة.. بس مشي.. إنتي طلعتي من الزقازيق رايحة مصر.. كل خطوة إنتي ماشياها في اتجاه مصر بتقربك.. وفي الآخر هتوصلي مصر».

- «يعني على مهلي خالص».

- «ماهو مش كده برضو.. إنتي تعملي إيه.. تجربي خطوة صغيرة لقيتيه جه معاكي أديله أكتر، ولو ماجاش معاكي اعملي أنك بتهزري».

- «مش فاهمة».

- «يعني مثلًا إنتي عايزاه يشرب مخدرات.. تبتدي إزّاي؟.. تقولي له على فكرة أنت هايبقى شكلك يجنن وأنت بتشرب السيجارة هتبقى شبه الممثل الفلاني.. يقوم هو يزعل ويزعق إنتي بتقولي إيه.. يبقى هو لسه مش مستعد للخطوة دي.. تقومي قايلة له ده أنا كنت بأهزر.. أما إذا جه معاكي يبقى مية مية.. نسيب خطوة السجاير تتثبت معاه فترة وبعدين نزود خطوة.. مثلًا عايزة تخليه يحلق دقنه تقولي له: هيبقى شكلك حلو أكتر لما تحلق دقنك.. يقول لك: لا. تقومي تقولي له: طيب خففها شوية.. وهكذا.. فهمتي؟»

- «أيوة يعني أسرع أو أبطأ على حسب على حسب استجابته معايا».

- «بالضبط كده.. طيب لو عايزاه يشوف أفلام بورنو تبتدي إزّاي؟»

«أبتدي بأفلام عادية.. صح؟»

- «إنتي تبتدي بأول خطوة هو مابيعملهاش.. يعني لو مابيتفرجش على تليفزيون ولا بيسمع أغاني يبقى تبتدي بأغاني.. وأغاني دينية كمان.. فهمتيني؟»

«أيوة تمام فهمت.. هي خطوات في رحلة».

- «برافو عليكي هي رحلة». قالها ثم أطلق ضحكة عالية وأردف: «بس رحلة للجحيم».

***

كان مصطفى مقتنع أن النساء أكبر خطر عليه في دينه وكان من أجل ذلك قد وضع حدودًا لتعاملاته مع النساء، فهو يتجنب أي تعامل مع أي أنثى غير محارمه، حتى ابنة عمه أو ابنة خالته، كان تقريبًا لا يوجد حوار بينه وبينهما غير إلقاء السلام وسؤال عابر عن أحوالهما، وكان غالبًا حتى لا ينتظر

ردهما، بل كان يتركهما قبل أن يسمع الرد، وكان هذا سببًا لسخرية أقاربه وأصدقائه وكل من يعرفه، وارتبط به لقب المُتزمِّت ارتباطًا وثيقًا، فمصطفى لا يكذب ولو كذبة بسيطة أو ما يطلق عليه الكذب الأبيض، ومصطفى يحافظ على كل الصلوات في المسجد حتى صلاة الفجر، ومصطفى لا يتكلم مع أي امرأة لا تحل له، بل إنه لا ينظر لأي امرأة لا تحل له، وكان عندما يسير في الشارع ينظر أمامه فقط ولا ينظر إلى اليمين ولا إلى اليسار حتى إنه كان يمكن أن يصادف أمه أو أخته في الطريق وجهًا لوجه ولكنه لا يراهما، وكان عندما يُعاتَب منهما يقول: «أنا بأشوف أن في واحدة ست ماشية فماببصش عليها من الأصل.. مش لسه هأبص علشان أعرف دي أمي ولا أختي»، وكانوا يتندرون عليه ويقولون له: «يا ابني بص على الطريق عادي بدل ما تعمل حادثة وأنت ماشي، كان في الثامنة عشر من عمره حاصل على دبلوم زراعة، كان قد عُين بعقد مؤقت في الإدارة الزراعية بشيبة، ساعد في تعيينه جار له بعد وفاة أبيه الذي كان يعمل غفيرًا في نفس الإدارة، كان لا يفعل شيئًا في عمله الحكومي فلذلك بدأ في العمل في الصيدلية لزيادة الدخل، لم يكن قد أخبره بقدوم ميمي للعمل في الصيدلية، لذلك عندما دخلت ميمي الصيدلية ظنها جاءت لتشتري شيئًا، كانت ترتدي فستانًا واسعًا لونه أزرق غامقًا وإيشارب لونه أزرق فاتح وكانت تنظر إلى الأرض، تذكرت نصيحة هدهد لها: «ماتبوصيلوش في عينيه أبدًا في البداية، حتى لو كنتي بتبصي ناحيته ماتخليش عينيكي في عينيه أبدًا»، كان الصيدلي فكري يجلس خلف مكتبه يقرأ شيئًا ما وكان مصطفى يجلس خلف دولاب العرض الزجاجي القصير الذي يوجد داخله بعض علب الدواء، فقام لها يسألها عما تريد فقالت له وهي ما زالت تنظر لأسفل وإن كانت لا تنظر للأرض بل للدولاب الزجاجي» عايزة الدكتور

فكري»، انتبه فكري عندما سمع اسمه وقام متجهًا إليها قائلًا: «أهلا يا أمينة يا بنتي» ومد يده ليصافحها فبدا عليها الاضطراب وخفضت عينيها قائلة بصوت خافت: «آسفة أصلي مابسلمش على رجالة» خفض فكري يده وقال لمصطفى: «أمينة هتشتغل معاك في الصيدلية يا مصطفى.. عايزك تخلي بالك منها وتعلمها كل حاجة.. ماشي؟» أجاب مصطفى: «حاضر يا دكتور»، مرت الأيام لتكمل شهرًا وخلال هذا الشهر حافظت ميمي على تطبيق تعليمات هدهد وكان هذا يجعل مصطفى يفكر: «البنت دي مؤدبة جدًا.. مش زي بنات اليومين دول.. عمرها مابتبص في عين راجل أبدًا.. ولا حتى بترغي في كلام مالوش لازمة مع الرجالة.. دي فتاة أحلامي.. لا دي فتاة أحلام أي راجل ملتزم.. مصطفى أنت بتتسرع كده ليه هو أنت تعرف حاجة عنها أصلًا علشان تقول كده.. بس الجواب بيبان من عنوانه.. جواب إيه وعنوان إيه بس.. لازم أعرف عنها كل حاجة بس إزَّاي؟.. أيوة هأسأل الدكتور فكري»، كان الصيدلي فكري يأتي للصيدلية الساعة العاشرة صباحًا ليفتحها ويأتي مصطفى الساعة الثانية عصرًا فيتركه فكري في الصيدلية ويعود في الثامنة مساءً وكانت ميمي تأتي الساعة الخامسة عصرًا وتترك الصيدلية الساعة التاسعة مساءً في حين يغلق مصطفى وشكري الصيدلية الساعة الحادية عشر، وفي ذلك اليوم أتى مصطفى إلى الصيدلية ودخل قائلًا: «السلام عليكم يا دكتور» «عليكم السلام يا مصطفى» قالها فكري وهو يقوم من خلف مكتبه تمهيدًا لأن يترك الصيدلية فقال له مصطفى: «دكتور.. كنت عايز أسألك على حاجة» جلس فكري ثانية وهو يقول: «خير يا مصطفى؟»

«البنت الجديدة.. الآنسة أمينة.. إيه حكايتها؟» ابتسم فكري ابتسامة ذات معنى وهو يقول: «وبتسأل ليه؟» هز مصطفى كتفيه قائلًا: «يعني.. فضول».

- «فضول برضه؟»

- «لو حضرتك ضايقك سؤالي بلاش».

- «أبدًا يا مصطفى.. ده أنا أتمنى لك كل خير» احمرَّ وجه مصطفى من هذا التلميح في حين قال فكري: «أبدًا يا سيدى.. كل اللي أعرفه أن البنت وأبوها جم من الصعيد على الزقازيق بعد موت أمها وأن أبوها زي ما تقول كده عنده حالة نفسية.. يعني.. بيعاملها وحش ومابيشتغلش.. ولما واحد معرفة عرض عليا أني أشغلها أحسن ما تخدم في البيوت وافقت.. بس.. ده كل اللي أعرفه».

- «بس لغوتها مش صعيدي؟»

- «ما هي أمها ماتت وهي بتولدها.. فهي ماعشتش في الصعيد أساسًا».

- «وماتعرفش يا دكتور هما منين في الصعيد وأبوها اسمه إيه وهما ساكنين فين؟»

ضحك فكري وقال: «بس يا ابني بس بس.. هو تحقيق.. وبعدين ما تسألها هي ما هي قدامك» احمرَّ وجه مصطفى وقال: «آسف يا دكتور» ربَّت فكري على كتفه وقال له: « مافيش أسف ولا حاجة.. ربنا يوفقك»، خرج فكري من الصيدلية وترك مصطفى وحيدًا يفكر، إن المعلومات التي أخبره بها فكري لا تكفي بالتأكيد، لكنها تعطيه فكرة عن أمينة، فكرة مبدئية طبعًا، لكنها أفضل من لا شيء، «أنا لازم أكلمها» هكذا فكَّر مصطفى «هيحصل إيه يعني؟.. بس أنا محرج جدًا.. أقول لها إيه بس؟.. أفتح معاها الكلام إزَّاي؟.. هأقول لها سؤال عام كده أبدأ بيه الحوار معاها.. زي إيه بقى؟.. مش عارف.. بس إذا كنت هأتجوزها يبقى لازم أعرف عنها كل حاجة.. ده

جواز مش لعبة»، ظل عقل مصطفى مشغولًا بالتفكير طول الوقت حتى قدوم ميمي التي دخلت كما تدربت وكما فعلت طوال الشهر الماضي قائلة بصوت خفيض لا يكاد يُسمع «السلام عليكم»، رد عليها مصطفى التحية بأفضل منها وجلست هي على كرسي خلف دولاب العرض الزجاجي وأخذ مصطفى يشجع نفسه حتى يكلمها، كان يأخذ نفسًا عميقًا ويهم أن يكلمها ثم يغلبه حياؤه فلا يستطيع الكلام، ظل هكذا حتى ارتفع صوت المؤذن بأذان المغرب فقام وقال لها كعادته: «أنا هأروح أصلي» وردت هي بصوت خفيض: «ماشي»، خرج من الصيدلية ووجهه أحمر من الغضب، كان غاضبًا من نفسه وفكر: «هيحصل إيه بس يا ابني.. دي كلمة قولها واخلص»، عزم أمره أنه عندما يعود من المسجد سيكلمها، وفي الصيدلية ما إن خرج مصطفى حتى قامت ميمي وأخرجت مفكًا من حقيبتها واتجهت إلى مكتب شكري وجلست القرفصاء بجانبه، كان المكتب من المعدن، فوضعت هي المفك أسفل حافته وأخذت تدفعه لأسفل الحافة محاولة أن تحرر جزءًا صغيرًا من أسفل الحافة وأخيرًا استجاب لها جزء، وأصبح هذا الجزء متجهًا لأسفل، وضعت أصبعها عليه لتتأكد أنه حاد، ثم خلعت خاتمها الفضي الذي ترتديه ودفعته أسفل المكتب، كان المكتب يرتكز على أربعة أرجل قصيرة جدًا بحيث تكون قاعدته منخفضة جدًا تكاد تلامس الأرض، وقفت بجاب المكتب من جهة الحافة السليمة وعينها على الشارع منتظرة عودة مصطفى، وما إن دخل الصيدلية حتى وضعت يديها أسفل حافة المكتب السليمة كأنها تريد أن ترفع المكتب قائلة له: «لو سمحت يا أستاذ مصطفى لو سمحت ساعدني أحرك المكتب الخاتم بتاعي وقع تحتيه» نظر لها لحظة ليستوعب ما تقول وكان سعيدًا في داخله أن القدر هيأ له هذه الفرصة ليكلمها، تهدَّج صوتها قليلًا وهي تقول:

«بسرعة لو سمحت، أصله كان خاتم أمي الله يرحمها»، اتجه للمكتب وهو يقول: «طبعًا.. حاضر»، وضع يده أسفل الحافة ليجرح يده الجزء المدبب الذي أخرجته ميمي فأبعد يده سريعًا وهو يتأوه، ونظر لجرح يده الذي خرج منه الدم فاندفعت ميمي تأتي له بقطعة قطن قائلة بلهفة مصطنعة: «ألف سلامة.. أنا آسفة».

- «مفيش حاجة دي تعويرة صغيرة»

مسح يده بقطعة القطن ورماها في سلة المهملات وهو يشعر بسعادة أنه بدأ يوجد بينهما حوار، كان مصطفى هو المسئول عن تنظيف الصيدلية ومسحها ورمى كيس القمامة ولو أنه دقيق الملاحظة للاحظ أن قطعة القطن المخضبة بدمه قد اختفت من سلة المهملات.

الفصل الخامس

جلس هدهد على الأرض أمام تمثال الغزال المجنح الموضوع فوق الطاولة في الغرفة المعروفة بالبئر وفتح حقيبة كانت أمامه وأخرج منها رقائق من جلد الخنزير وعلبة مليئة بالبراز وأشار إلى ميمي فأخرجت قطعة القطن المخضبة بدم مصطفى فأخذها منها ووضعها في طبق فيه ماء فاصطبغ الماء بلون أحمر خفيف، أخرج قطعة عظام صغيرة وغمزها في علبة البراز وأخرجها وكتب بها، كأنها قلم يكتب بالبراز على جلد الخنزير، ثم أمسك الطبق وسكب من الماء بضع قطرات على جلد الخنزير ثم أخذ يترنم هو وميمي بصوت خفيض ثم قال: «سيدنا يا ملك القلوب أسلمنا قلب صاحب هذا الدم لصاحبة هذا الدم» قالها ثم أمسك ذراع ميمي وجرحها بسكين أخرجها من حقيبته وترك بعض الدم ينزل على جلد الخنزير، وعمت الغرفة رائحة في غاية السوء.

***

قال الشيخ أحمد شمس الدين مخاطبًا طلابه في درسه الذي يعطيه يوم الإثنين: «إن السحر موجود وهذا بنص القرآن ولكن كل شيء بقدر الله، أي أنه من الممكن أن يسحرك ساحر لكن الله يحفظك من سحره، ومن الممكن

أن يسحرك ساحر ويبتليك الله بإنفاذ هذا السحر، فإذا صبرت نلت الأجر والثواب، واستمع معي لقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنزِل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» حتى هنا في الآيات الأمر خطير فمن الممكن أن يسحرني ساحر ليفرق بيني وبين زوجتي ولكن اسمع إلى تكملة الآية: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله» فلا يكون في ملك الله إلا ما يشاء الله، ولكن هل معنى هذا أنه ليس في إمكاني أن أحمي نفسى من السحر.. والاجابة هي طبعًا يوجد ما تحمي به نفسك، وهو الدعاء.. أنك تدعو الله سبحانه وتعالى أن يحميك من السحر.. وأيضًا ذكر الله سبحانه وتعالى وأفضل الذكر قراءة القرآن، فأنت لن تذكر الله بأفضل من كلامه.. ثم الأذكار الموظفة أي أذكار الصباح والمساء، أذكار الخروج من المنزل، أذكار دخول المنزل، أذكار إذا جامعت زوجتك.. فهذه الأذكار تحميك بإذن الله.. وطبعًا أضعف ما يكون الإنسان عند النوم، فلذلك فأذكار النوم مهمة جدًا لتحميك أثناء نومك.. وأيضًا عندما تغلق الأبواب والنوافذ بالليل تقول بسم الله، هكذا تمنع الشياطين من دخول بيتك، لكن المهم أنك تكون قد قلت بسم الله عند دخولك بيتك حتى لا يدخل معك شيطان، كذلك بالليل لا تترك آنية غير مغطاة بل تخمر آنيتك، أي تغطيها، وتذكر اسم الله عليها.. وأنصح نفسي وإياكم أن يكون في بيت كل واحد منا كتاب للأذكار، حتى نقرأ منه ومع الوقت ستحفظ هذه الاذكار.. ودائمًا اجعل يقينك أن الأمر كله بيد الله وأن الإنس والجن أولهم وآخرهم لو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.. نأخذ بعض الأسئلة»،

كان الحاضرين يكتبون أسئلتهم على قطع صغيرة من الورق ويمررونها إلى الذين أمامهم حتى تصل الورقة إلى الجالسين أمام الشيخ أحمد فيضعونها على المنضدة التي يجلس أمامها، فأمسك بالأوراق يقلبها بين يديه حتى توقف عند ورقة وقال: «إذا كان كل شيء مكتوب فلماذا ندعو الله؟»، وضع الأوراق على المنضدة وقال: «مراتب الإيمان بالقضاء والقدر» ثم فرد السبابة والوسطى والبنصر من اليد اليسرى وثنى الإبهام والخنصر وبدأ يعد مشيرًا بسبابة اليد اليمنى على أصابعه المفرودة قائلًا: «العلم والكتابة والمشيئة» ثم ثنى جميع أصابع اليد اليمنى وفرد الخنصر فقط قائلًا وهو يضعه أسفل بنصر اليد اليسرى «والخلق.. معنى العلم أي أن الله علم كل شيء قبل أن يخلق الخلق.. يعلم ما سيكون وما لن يكن وما لم يكن إذا كان كيف يكون.. ومعنى الكتابة أن الله كتب كل شيء، فأول ما خلق الله خلق القلم وقال له: اكتب، فقال القلم: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن. فجرى القلم بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة.. والمشيئة تعني أن الله شاء ما هو كائن.. والخلق أي أن الله يخلق الشيء فيكون واقعًا» أبعد الشيخ أحمد خنصر اليد اليمنى وقال: «العلم والكتابة والمشيئة.. هذا القضاء» أعاد خنصر اليد اليمنى أسفل بنصر اليسرى قائلًا: «أما إذا خلق القضاء صار قدرًا» أبعد يديه قائلًا: «هل يجوز أن يقضي الله بقضائين لشيء واحد؟ الإجابة: نعم، يجوز.. لكنه لا يخلق إلا قدرًا واحدًا.. وما الدليل على هذا؟ كلنا أو أغلبنا يقرأ سورة الكهف «وأما الغلام فكان أبويه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا فأراد أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا».. هنا قضى الله بقضائين هما أن هذا الغلام إذا كبر سيرهق أبويه طغيانًا وكفرًا.. هذا هو القضاء الأول.. وإذا مات صغيرًا فسيبدلهما ربهما غلامًا بارًا مؤمنًا.. هذا هو القضاء الثاني.. وخلق الله القضاء

الثاني فصار قدر الأبوين أن يموت ابنهما ويرزقهما الله بابن آخر خير منه.. ولعل الأبوان كانا يدعوان الله أن يرزقهما ابنًا بارًا مؤمنًا.. ولذلك خلق الله القضاء الثاني فضلًا منه ورحمة.. وهذا هو السبب أننا ندعو الله رغم أن كل شيء مكتوب».

***

دخلت ميمي الصيدلية وقالت دون أن تنظر لمصطفى بصوت خافت: «السلام عليكم» تبعها ببصره وهي تمشي ولم يغض بصره كما اعتاد فهو كان يريد أن يراها جيدًا.. كما أنه علم أن من حقه أن ينظر إذا أراد أن يخطب.. نظر إليها وهي تدخل من باب الصيدلية وتمشي إلى الكرسي خلف الدولاب الزجاجي وفكر: «قد إيه هي جميلة.. مش مؤدبة بس لكن جميلة كمان.. جميلة بطريقة مش معقولة.. زي ما يكون احلوت أكتر من لما شوفتها أول مرة.. لا دي أحلى من امبارح.. بس ده مش ممكن أكيد أنا اللي كنت مش واخد بالي.. مشيتها حتى جميلة.. مش مشيتها بس.. ده كمان»، «يا أستاذ» هكذا فوجئ بمن يقف أمام الدولاب الزجاجي وينادي عليه بصوت عالٍ، فقال: «هه.. نعم».

- «نعم إيه بس.. ده أنا بقالي ربع ساعة بأكلمك.. سلامو عليكو.. سلامو عليكو.. يا أستاذ.. يا أستاذ.. وأنت ولا هنا».

- «معلش آسف.. يظهر كنت سرحان شوية».

- «حصل خير.. اللي واخد عقلك» قالها ونظر تجاه ميمي وابتسم ابتسامة خبيثة.

احمر وجه مصطفى وحمد الله أن أمينة لم تلاحظ ما حدث، ولكن الحقيقة أن ميمي كانت ملاحظة لكل شيء منذ أن دخلت الصيدلية وكانت

تشعر أن السحر الذي فعلوه لمصطفى بدأ يأتي بنتيجة، كان قد عقد العزم على أن يكلمها اليوم تحت أي ظرف وانتهز فرصة خلو الصيدلية من الزبائن وقام من خلف المكتب ومشي إليها حتى أصبح بجانبها وكانت هي لا تنظر إليه أخذ نفسًا عميقًا يهدئ به نفسه و«السلام عليكم». قالتها سيدة وهي تدخل من باب الصيدلية وفي يدها ورقة صغيرة قالت وهي تمد يدها بها لميمي: «عايزة الدوا اللي في الورقة» ارتبك مصطفى كأنه ضبط متلبس بجرم ما وقال: «خليكي.. أنا هأجيب الدوا»، أخذ الورقة من السيدة وهو شارد الذهن يقرأ ويتحرك وهو لا يكاد يعي ما يفعله، كان يفكر في أنه كان على وشك أن يكلم أمينة ولكن ما هذه الأقدار، قطع أفكاره دخول رجل أشعث رث الثياب ثائر شعر الرأس واللحية كث الشارب وقال بصوت مرتفع: «لله.. ربنا ما يحوجكم»، أخرج مصطفى من جيبه ورقة بخمسة قروش وقال: «خد يا حج»، اقترب منه وهو يرتعش ومد يده لمصطفى فوضع مصطفى الخمسة قروش في يده وهو يتحرك لاستكمال إحضار الدواء ليجد المتسول قد قبض على يده بعنف، التفت إليه ليجد أنه قد شده من يده بعنف حتى أصبح وجهاهما على بعد سنتيمترات قليلة وقال بصوت هامس وعيناه مثبتتان على عيني مصطفى: «خللي بالك» ثم رفع يده بجانب وجهه مشيرًا بالسبابة وهو يقول بنفس الصوت الهامس: «مش كل اللي بيلمع دهب»، كان مصطفى مبهوتًا وقد ترك المتسول يده وابتعد عنه راجعًا بظهره وهو ما زال ينظر إليه مشيرًا بسبابته دون أن يقول شيئًا، ثم أدار ظهره لمصطفى ورفع رأسه لأعلى قائلًا: «لله.. ربنا ما يحوجكم» وخرج من الصيدلية.

خيم الصمت لحظات ومصطفى شارد الذهن يفكر: «هو قال لك إيه؟ هه» قالتها السيدة بفضول شديد شاركتها إياه ميمي ولكن دون أن تصرح

بهذا وإن تعلقت عيناها بمصطفى منتظرة الجواب، ولكن مصطفى قال: «ولا حاجة».

***

لم يكلم مصطفى ميمي هذا اليوم وخرج من الصيدلية مع فكري الذي لاحظ شرود مصطفى فقال له بعد أن أغلقا باب الصيدلية: «مالك يا مصطفى؟ في حاجة؟»

- «أبدًا يا دكتور مفيش حاجة.. بس تعبان شوية».

- «ألف سلامة عليك.. لو عايز تريح بكرة ريح عادي».

- «لا.. أبدًا يا دكتور.. أنا هآجي بكرة». ابتسم فكري وقال: «ماتخفش.. مش هاخصمه عليك».

- «لا يا دكتور مش موضوع فلوس.. أنا حابب آجي الشغل». ابتسم بخبث قائلًا: « أيوة حابب طبعًا.. حابب جدًا»

احمر وجه مصطفى بسبب هذا التلميح ولم يقل شيئًا، كان منزل مصطفى في حي النظام وكان يمشي من الصيدلية إلى المنزل في عشرين دقيقة تقريبًا، وكان دائمًا ما يستغل هذه الفترة في ذكر الله ولكنه هذه المرة كان مشغولًا بالتفكير في ميمي حتى أنه فوجئ بنفسه يفكر بصوت مرتفع فنظر حوله ليتأكد من أن أحدًا لم يسمعه، كان منزله يقع في عمارة قديمة، كان أباه قد استأجر هذه الشقة منذ عشرين عامًا، الشقة في الدور الثاني والدور الأول كان مخزنًا لصاحب المنزل الذي كان يسكن في الدور الثالث ولكنه غادر الزقازيق ليعيش في الإسماعيلية، وكان أعطى حق الانتفاع بالغرفة التي في سطح العمارة لأسرة مصطفى، دخل مصطفى المنزل ليجد أمه جالسة أمام

التليفزيون تشاهد فيلمًا عربيًا أبيض وأسود، فلما رأته قامت وابتسمت قائلة: «الحمد لله على سلامتك».

- «الله يسلمك يا أمي».

- «ثواني وهأجيب لك العشا.. عقبال ما تغير هدومك».

- «شكرًا يا ماما.. مش عايز» قالها متجهًا إلى غرفته.

اعتدلت أمه في جلستها وقالت: «مالك.. في حاجة؟» توقف وقال لها مبتسمًا: «أبدًا يا أمي مفيش حاجة.. مش جاي لي نفس آكل بس».

لم تقتنع بما قال لكنها خمَّنت أنه حدث شيئًا في الصيدلية ضايقته فآثرت أن تتركه وتتكلم معه بعد فترة.

دخل هو غرفته وأخذ يفكر:» كان لازم أكلم أمينة النهارده.. بس الظروف ماسمحتش.. الزباين.. والراجل الشحات الغريب جدًا ده.. هو قال لي إيه؟» كان يفكر وهو يفتح الراديو فوجد المذيع يقول: «ليس كل ما يلمع ذهبًا».

دخلت ميمي الصيدلية وقالت بصوت خافت: «السلام عليكم» رد عليها وهو ينظر للساعة المعلقة في الصيدلية ليجدها الرابعة وفكر لماذا جاءت ساعة كاملة قبل ميعادها، كان يشعر أن فيها شيئًا مختلفًا ولكنه لا يعلم ما هو، تابعها بنظره حتى جلست على المقعد خلف الدولاب الزجاجي، وعندها لاحظ لماذا بدت له مختلفة، كان هناك كدمة حول عينها اليسرى، اتسعت عيناه وقام من مقعده متجهًا إليها قائلًا وهو يشير بيده تجاهها: «مالك.. إيه اللي حصل؟»

***

وقفت ميمي أمام هدهد مرتدية فانلة حمالات ضيقة وسروالًا قصيرًا ضيقًا وقد قدمت قدمها اليسرى إلى الأمام قليلًا وفي يدها اليمنى كأس خمر وفي يدها اليسرى سيجارة، قال لها هدهد وقد ضم قبضته اليمنى وقدم قدمه اليسرى إلى الأمام قليلًا: «جاهزة؟» سحبت نفس من السيجارة وشربت كأس الخمر كاملة قبل أن تخرج دخان السيجارة ووضعت السيجارة في الكأس ووضعت الكأس على منضدة بجانبها وهزت رأسها إيجابًا قائلة: «امممممم» طوح هدد قبضته سريعًا ضاربًا ميمي على عينها اليسرى.

***

وصل مصطفى إلى حيث تجلس ميمي وكرر سؤاله: «إيه اللي حصل؟» رفعت عينيها إليه بنظرة انكسار، تدربت عليها كثيرًا أمام المرآة، واغرورقت عيناها بالدموع ثم خفضت عينيها وقد اهتز جسدها ببكاء صامت ثم ببكاء خفيض مسموع، نظر لها مصطفى وقد بدا عليه التأثر، ثم مد يده يربت على كتفها الأيسر فأبعدت كتفها عن يده وحركته للأمام قائلة: «أي».

***

خلعت ميمي الفانلة والسروال القصير ثم خلعت ملابسها الداخلية لتقف عارية أمام هدهد ومدت يديها إليه فقيدهما بحبل غليظ، ثم ربط الطرف الآخر للحبل في الحلقة المعلقة في غرفة البئر وأخذ يجذب الطرف الآخر للحبل حتى صارت ميمي واقفة منتصبة رغمًا عنها ويديها فوق رأسها، التف حولها هدهد حتى صار خلفها ثم مد يده للأرض ملتقطًا سوطًا كان ملقًى على الأرض وقال لها: «جاهزة؟» انقبضت عضلات جسمها بالكامل وقبضت يديها على طرف الحبل قائلة: «جاهزة»، هوى بالسوط عليها لينتزع السوط الجلد

عن مكان الضربة، فقالت ميمي صارخة: «يا ابن...»، أرجع يده إلى الخلف وهوى مرة أخرى فقالت ميمي صارخة: «... أمك» ابتسم هدهد وأخذ يضرب بالسوط وهي تشتمه بأقذع الشتائم وقد التمعت عينيه في شهوة، ضربها ستة ضربات أخرى وقد ارتسمت أماكن الضربات على كتفيها وظهرها ومؤخرتها، توقف عن الضرب وتحرك إليها ليجدها قد ارتخى جسدها ولا يبقيها منتصبة إلا القيد المعلقة به توقف خلفها وفك وثاقها فهوت فتلقفها بين يديه وحملها إلى فراشها ووضعها في الفراش على بطنها.

***

قال مصطفى وقد أبعد يده عنها: «آسف»، استمرت ميمي في البكاء، فقال مصطفى: «أنا ماكنش قصدي أمد إيدي عليكي» قالت له من وسط دموعها: «أنا مش متضايقة أنك طبطبت عليا.. بالعكس»، بُهِت مصطفى للإجابة ووجدها مثيرة له وهو الذي لم يعتد الكلام مع النساء فقال: «ريحيني بس وقولي لي في إيه؟» نظرت له وقد رفعت عينيها بنفس النظرة التي تدربت عليها وقالت بصوت خافت متهانف: «عايز تعرف في إيه؟» أوما برأسه إيجابًا قائلًا: «أيوة» قامت من جلستها وقالت: «تعالى أنا هأوريك في إيه»، أمسكت يده وتحركت أمامه وقد سحبته ورائها متجهة إلى جزء من الصيدلية يستخدم في تخزين الأدوية وعمل الأدوية التركيب، وكان يفصله عن باقي الصيدلية ستارة من قماش ثقيل لا يجعل من في الصيدلية يرى من في المخزن، وكان ملحق به دورة مياه غاية في الصغر، دخلت إلى المخزن وهي ممسكة يده، وكان كل همه ألا ترتجف يده وهو الذي لم يعتد ملامسة النساء، تركت يده واستدارت معطية ظهرها له، وكانت البلاهة بادية عليه لا يفهم ما الذي يحدث، قالت

له: «افتح السوستة»، تفاجأ بما قالته فقال بتلقائية: «نعم؟!» قالت بصوت متهدج: «افتح السوستة.. متخافش» مد يده وقد شعر بإثارة لم يشعر بها من قبل، وأمسك السوستة وجذبها لأسفل ببطء، كانت ترتدي فستانًا وكانت السوستة ممتدة إلى وسط الفستان، فتحرج هو أن يفتحها لآخرها ففتحها إلى منتصفها ورأى آثار الجلد على ظهرها فتوقف غير مصدق ما يراه، بكت هي بحرقة أكثر وجذبت جانبي الفستان ببطء فانفتحت السوستة كاملة وهي تقول: «شوفت؟.. شوفت أبويا بيعمل فيا إيه؟» نظر مبهوتًا لظهرها وأعلى مؤخرتها التي ظهرت مع فتح السوستة كاملة وكانت آثار الجلد عليها بادية، شعر بإثارة كبيرة لرؤية جسدها ولم يدر ماذا يفعل، قالت: «ده أنا من كتر الوجع ماقدرتش ألبس حاجة تحت الفستان» واهتز جسدها وهي تتصنع البكاء وقد ضمت يديها أمام صدرها ممسكة الفستان ومعطية ظهرها له، استدارت لتواجهه ونظرت في عينيه نظرة مستكينة في صمت واقتربت منه صامتة وهي ما زالت تنظر في عينيه، قطع الصمت صوت طفل يقول: «عم مصطفى»، كأنما أفاق من غفوة، انتفض مصطفى وقال: «هاشوفه عايز إيه» وخرج مسرعا تاركًا ميمي التي اعتلى وجهها الغضب.

انتظرته ميمي حتى يعطي الطفل الدواء ويعود إليها، ولكن دخل الصيدلية زبون تلو الآخر ولم يتسن له العودة إليها، كانت قد انتظرت بضع دقائق عندما أطلقت كلمة تدل على الاعتراض وأغلقت سوستة الفستان وخرجت إلى الصيدلية، كان ما يزال هناك زبائن في الصيدلية فتبادلا نظرة سريعة ثم جلست على مقعدها وعندما خرج الزبائن اتجه إليها وقال لها وهو يقف أمامها: «هنعمل إيه في موضوع أبوكي؟» نظرت له وهي جالسة وقالت: «العمل عمل ربنا» خطر له أن عينيها تبدوان في غاية الروعة وهي

تنظر لأعلى وقال: «ونعم بالله.. بس لازم في حل.. هو ضربك ليه؟»

- «من غير سبب».

- «معقولة؟.. من الباب للطاق كده؟»

- «لما بيسكر بيبقى وحش قوي».

- «هو بيشرب خمرة؟»

- «بيشرب كل حاجة».

- «وأهلك؟»

- «ماليش أهل».

- «خالص».

- «أيوة.. أنا أمي ماتت وماعرفش عن أهلي غير أنهم في الصعيد».

- «ماتعرفيش فين في الصعيد؟»

- «لا»، صمت وهو يفكر في حل لتلك المعضلة ثم قال: «ماتقلقيش إن شاء الله ربنا هيفرجها».

ظل مصطفى يفكر في حل لمشكلة أمينة ولكنه لم يجد حلًا، فمن اعتدى عليها هو أبوها ولو تدخل هو فما صفته ليتدخل، هل يخبر فكري ولكنه أولًا يجب أن يسأل أمينة فهي قد ائتمنته على سرها ولا يجب أن يبوح به إلا لو وافقت هي، من يضرب ملاكًا مثلها لابد وأن يكون بدون قلب، إنسانة رقيقة مثلها ممن أن تجرها نسمة الهواء، كان قد غادر الصيدلية متجهًا إلى منزله وهو شارد الذهن يفكر فيها، هي جميلة فعلًا، صورة جسدها الذي رآه اليوم لا تريد أن تفارقه، لكن أليست جريئة لتريه جسدها هكذا؟ لا هي فقط

تتصرف بعفوية وطيبة قلب، من حُسن حظها أن ما حدث قد حدث معه هو، فلو كان شخصًا آخر لكان ظن بها ظنًا سيئًا، هي مسئوليته من الآن ولن يتخلى عنها، فهي فيها كل الصفات التي يتمناها والتي حتى لم يتمنَّها، قطع تفكيره وصوله لبيته، دخل منزله ليجد أمه وأخته جالستان يشاهدان التلفاز فقال: «السلام عليكم» ردت عليه أمه وأخته التحية بأحسن منها وقالت له أمه: «هأعمل لك العشا حالًا».

«شكرًا يا أمي مش جعان». قالها ودخل غرفته وألقى نفسه على السرير يفكر، وفي الصالة نظرت أمه لأخته وقالت متسائلة: «هو مصطفى ماله؟ حاله متغير بقاله كام يوم» ابتسمت أخته وقالت ضاحكة: «يمكن بيحب» قالتها وضحكت، في غرفته ابتسم مصطفى وفكر: «أيوة بحب.. مين كان يصدق؟»

***

في اليوم التالي جاءت ميمي إلى الصيدلية في موعدها ودخلت قائلة «السلام عليكم» قالتها بصوت خفيض وهي تنظر للأرض، فرد عليها مصطفي السلام، ذهبت إلى مقعدها ولم يستطع مصطفى منع نفسه من تخيلها عارية بعدما رآه منها اليوم السابق، اتجه إليها وقال: «أخبارك إيه النهارده؟» أجابته قائلة: «الحمد لله» صمتت لحظات ثم قالت: «على فكرة يا أستاذ مصطفى أنا مش متعودة أتكلم مع رجالة، واللي حصل امبارح كان غصب عني» صمتت لحظات ثم تهانفت قائلة: «حسيت أني أعرفك من زمان وأني ممكن أفضض معاك» ثم رفعت عينيها إليه قائلة: «بس أنا والله عمري ما كلمت أولاد أبدًا.. أنت أول واحد» ابتسم مصطفى وقال: «وهأكون آخر واحد» نظرت للأرض في حياء مصطنع، ومع الأيام نمت العلاقة بين مصطفى وميمي وسألها

مصطفى إذا كان لديها هاتف في البيت فأخبرته أن نعم وأنه مرحب به ولكن في وقت متأخر من الليل بعد أن يكون أباها قد نام واتفقا على الموعد، كان مصطفى معتادًا على النوم مبكرًا حتى يتمكن من القيام لصلاة الفجر ولكن مع موعد الاتصال المتأخر وخوفه من النوم وضياع ميعاد الاتصال كان يظل متيقظًا حتى ميعاد الاتصال، كان يتصل هو وكان هذا رأيه، فقد كان آخر ما يرغب فيه أن يكون نائمًا وتتصل هي لتوقظ أمه وأخته، ففضل أن يتصل هو ولو غلبه النوم فلن يتصل، لكنه كان حريصًا على أن يتصل يوميًا، كان ينتظر حتى تنام أمه وأخته ويتصل بميمي وكانت هي تحرص على أن تتحدث معه حتى قبل صلاة الفجر بقليل حتى تضيع منه الصلاة، وكان هو يحاول جاهدًا أن يظل مستيقظًا حتى صلاة الفجر لكن النعاس كان يغلبه مع إرهاقه طوال اليوم، ظلا يتحدثان بانتظام يوميًا حتى طلبت منه أن تقابله نهارًا قبل ميعاد ذهابه إلى الصيدلية وبالفعل أصبح يوقع حضور في عمله الصباحي وينتظر حتى العاشرة صباحًا ثم يتسلل من عمله ليقابلها ثم يعود ليوقع انصراف ويذهب للصيدلية، ومع الوقت أصبحت ميمي محور حياة مصطفى، فهو تقريبًا يقضي معها اليوم كله، وقد نمت علاقتهما واعتادا على بعضهما بطريقة لم يكن يتوقعها مصطفى، وحرصت ميمي أن تخبره وتقسم له أنه أول رجل في حياتها وأنها لم تكلم رجالًا قبله وأنها مندهشة مما تفعله ولكنها وجدت فيه الرجل الكامل الذي يُعتمد عليه وتشعر معه بالأمان، واستمر هذا الحال لمدة شهرين، وكان مصطفى يعيش سكرة الحب الأول.

الفصل السادس

جلس هدهد أمام ميمي في غرفة البئر على السجادة وقال لها: «إيه أخبارك مع مصطفى؟»

- «كله تمام».

- «إحنا هنبتدي جزء جديد من خطتنا».

- «إيه هو؟»

- «هنخليكي تروحي تعيشي معاه في بيتهم».

- «وده هنعمله إزَّاي بقى إن شاء الله؟»

- «هو هيطلب منك لما تقولي له أني اغتصبتك» قالها بنفس نبرة صوته دون أدنى تغيير كأنه يقول شيئًا طبيعيًا، فقالت له ميمي: «وهو هيصدق حاجة زي كده؟»

- «طبعًا».

- «ليه طبعًا؟»

- «لأننا هنعملها فعلًا» اتسعت عيناها وزحفت على مؤخرتها مبتعدة

عنه وهي تقول متسائلة في خوف: «إيه؟» لم يبدل جلسته ولم يتحرك وقال: «ماتخافيش.. كده كده إحنا كنا هنعمل ده لأن دي أوامر سيدنا، فاحنا بس هنستفيد من الحكاية دي».

- « بس يا با... قصدي يا مولانا.. أنت برضو أبويا.. يعني إزَّاي بس؟.. ما إحنا...»

- « أنا مابقيتش أبوكي وإنتي مابقيتيش بنتي.. خلاص الحكاية دي خلصت.. وبعدين إنتي لسه ماتعلمتيش؟ مفيش مهرب ليكى مني.. واللي هنعمله هيرضي سيدنا.. ورضا سيدنا هيفتح ليكي كل الأبواب».

صمتا لبرهة وهي تنظر له في خوف وقالت: «بس...» قاطعها قائلًا: «مبسش»، ثم لان صوته وهو يقول: «يا بت أنا عايز مصلحتك.. إنتي لما تشوفي العز والقوة اللي هتبقى فيها هتعرفي أن ده كان تمن رخيص قوي.. هه ماشي؟» سكتت ولكن قل الخوف في عينيها فابتسم قائلًا: «يبقى ماشي»، قام من مكانه واتجه إليها حتى توقف أمامها، فوقفت بدورها ونظرت إليه لتجد ابتسامته تغيرت لتبدو شرسة وشيطانية وهو يقول: «بس المهم تقاومي» نظرت له لحظة في خوف ثم انطلقت لتعدو تجاه باب الغرفة، لكنه أمسك بشعرها بقوة وجذبها إليه فأطلقت صرخة ثم لكمته في وجهه بأقصى قوة لها فتحسس موضع اللكمة على وجهه ثم ابتسم قائلًا: «أيوة كده» ثم حملها من إبطيها وألقاها لتطير في الهواء وترتطم بالجدار وتسقط على الأرض ثم اتجه إليها وتعالت صرخاتها.

قام هدهد عن ميمي ثم قال لها: «كلميه»، كانت في حالة من الألم البدني والنفسي وقد ابتل وجهها بالدموع وسال الدم على وجهها وفخذيها، كانت

تكرهه بشدة لكنها تعلم أن لا مهرب وليس لها سبيل إلا طاعة أوامره، لملمت ملابسها الممزقة وقامت وعينيها تنظر للأرض وخرجت من الحجرة واتجهت إلى الهاتف واتصلت بمصطفى الذي أجاب سريعًا قائلًا: «كنت لسه هتصل بيكي». قالت بصوت مخنوق: «الحقني يا مصطفى».

- «خير؟ في إيه؟»

- «لازم أشوفك دلوقتي»

نظر للمنبه بجانب السرير ليجد الساعة الواحدة إلا الربع بعد منتصف الليل إلا أنه قال: «ماشي»، لم يمض أكثر من نصف ساعة حتى تقابلا ومن أول نظرة لاحظ وجهها المصاب وخمن أن أباها قد ضربها ولكنه كذلك فكر أن هناك شيئًا آخر يستحق أن تطلب لقاءه بهذه السرعة.

- «خير؟» قالها متسائلًا فردت: «أبويا».

- «ماله؟ ضربك تاني؟»

- «لا» سكتت لحظات وقفزت الدموع من عينيها وقالت: «اغتصبني». قالتها وأجهشت بالبكاء، اتسعت عيناه ولم يستطع الكلام، غطت وجهها بيديها وهي ما زالت تبكي ثم ارتمت بين يديه واحتضنته تبكي على صدره، كانا يقفان في شارع جانبي وفي وقت متأخر من الليل والشارع مظلم فوقف هو مرتبك ويديه بجانبه لا يدري ماذا يفعل، ثم رفع يديه واحتضنها بدوره واستمر محتضنها لحظات ثم أبعدها عنه برفق ونظر إليها قائلًا: «نروح نبلغ عنه». شهقت وقالت: «لا.. أنا مش عايزة فضايح.. الناس هتقول عليا إيه؟»

- «وإنتي ذنبك إيه؟ إنتي ضحية».

- «ومين هيفهم الكلام ده.. كل اللي هيحصل أني هتفضح».

- «طيب نروح المستشفى».

- «لا.. أنا مش طلبتك علشان كده» نظر إليها في تساؤل فأكملت: «أنا هاهرب»، نظر إليها وقد توالت عليه المفاجآت فأفقدته القدرة على الكلام، أكملت هي: «أنا قولت أشوفك قبل ما أمشي لأني... لأني... بحبك» قالتها وبكت ثم أردفت: «أنت الحاجة الوحيدة الحلوة اللي في حياتي»، تكلم بعد طول صمت قائلًا بصوت خافت: «تهربي فين؟ وهتعيشي منين؟»

- «مش عارفة.. أي حتة.. وهاشتغل.. أي حاجة هتبقى أحسن من اللي أنا فيه.. أنت عندك حل تاني؟» صمت وهو يفكر، كانت هناك فكرة تتبلور في داخله وهي أن يتزوجها، ولكنها فكرة غير مكتملة، فكيف يخبر أمه؟ وهل سيوافق أبوها إذا تقدم لها؟ وكيف لرجل مثل هذا أن يكون حماه وجد أولاده؟ إذا تهرب فعلًا من أبيها ولكن يتزوجها هو بدون علم أبيها، قطعت أفكاره وهي تساله ثانية: «عندك حل تاني؟»

- «بقول لك استنى بس على موضوع الهروب ده.. أنا هأفكر ليكي في حل.. نتكلم بكرة في الصيدلية وإن شاء الله هلاقي لك حل».

- «أنت عايزني أرجع له تاني بعد اللي حصل؟»

- «دي ليلة واحدة وبكرة إن شاء الله يحلها الحلال».

رجع إلى بيته وفتح الباب دون أن يصدر صوتًا وحمد الله أن أمه وأخته ما زالتا نائمتين، فآخر شيء يتمناه هو أن يجد نفسه مضطرًا لتفسير خروجه في هذه الساعة، استلقى في سريره يفكر في حل لتلك المشكلة، كيف يغتصب أب ابنته، بل كيف يشتهيها أصلًا.. هذا جنون.. بالتأكيد هذا الرجل مجنون.. كيف ينقذها منه.. لا يوجد سوى حل واحد هو أن يتزوجها.. لكن أين تعيش

حتى موعد الزواج؟ سيأتي بها لتعيش في غرفة السطح.. لكن عليه أن يخبر والدته أولًا.. ماذا سيقول لها؟ هل يخبرها بالحقيقة؟ إذا أخبرها بالحقيقة فسيكون قد فضح أمينة.. وإذا لم يخبرها بالحقيقة فهي لن تقتنع ببقائها معهم.. سيقول لها إن أباها يضربها.. سترد عليه بأنه يربيها وأن هذا شأن يخصهم وليس لنا دخل به.. إذًا الحل أن يخبرها بالحقيقة.. ولكن حتى حينها ممكن أن يكون رأي أمه ألا يزج بنفسه في هذه المشاكل، تنهد وقال بصوت خفيض وهو يضع يديه على رأسه: «دماغي هتنفجر».

نام قبل أذان الفجر بلحظات واستيقظ بعد شروق الشمس بدقائق وأخبر والدته بمشكلة ميمي، لكنه بالطبع لم يخبرها بأمر اغتصاب والدها لها، أخبرها فقط أن والدها يسيء معاملتها ويضربها وأنه يريد أن يأتي بها لتسكن في غرفة السطح أو أن تسكن هي معها ويقيم هو في غرفة السطح، فكان رد والدته كما توقع أن هذه مشكلة عائلية ليس لهم شأن بها وأن هذه ممكن أن تكون طريقة تربيته لها فلتخبر أقاربها، رد عليها أن ليس لها أقارب، إذًا فلتخبر الشرطة، فكان رده أنها لا تريد فضائح، هنا انفعلت أمه وأخبرته أنها لا تريد مشاكل فهم لديهم مشاكلهم الخاصة وليسوا في حاجة إلى إضافة مشاكل أخرى، كانت أمه تثق به وتعتبره رجلًا ناضجًا وليس شابًا صغيرًا وكانت تثق في رأيه وكان هو واثق أنه لو أخبرها بالحقيقة كاملة ستتعاطف معها، ولكنه لا يريد أن يخبرها؛ لأن أمينة ستكون زوجته وهو لا يريد أن تعرف حماتها المستقبلية بشيء كهذا، ففكر بأنه سيأتي بها الليلة إلى منزله ويضع أمه أمام الأمر الواقع. عندما أتت ميمي إلى الصيدلية أخبرها أن تقابله بعد انصرافه من الصيدلية بحقيبة ملابسها، واتجها إلى منزله وصعدا السلم وطلب منها أن تنتظر، ودخل مناديًا أمه: «ماما». خرجت من المطبخ قائلة: «أيوة يا حبيبي».

«معايا ضيوف» قالها فبدأت أمه تلقائيا توضب هندامها وهي تقول: «أهلًا وسهلًا» فتح مصطفى باب الشقة، وقد كان مواربًا بعد دخوله، وقال: «تعالي يا أمينة» دخلت ميمي وعندما رأتها أم مصطفى شعرت بانقباضة في قلبها، ثم اعتراها الغضب إلا أنها تحكمت في أعصابها وهي تمد يدها لتسلم عليها قائلة: «اتفضلي يا بنتي» جلست ميمي وابتسم مصطفى وهو يفكر: «كنت عارف أنها مش هتحرجها» التفتت أم مصطفى إليه وهي تقول بجدية: « تعالى يا مصطفى عايزة أتكلم معاك» خبت ابتسامته وقد رأى تعبير وجه أمه الذي لا يبشر بالخير، دخلا غرفة أمه فأغلقت أمه الباب وقالت: «أنا مش قولت لك متجيبش البنت دي هنا».

- «يا أمي هي...» قاطعته أمه قائلة بانفعال: «يا ابني إحنا مش ناقصين مشاكل».

- «يعني تتبهدل هي؟»

- «وإحنا مالنا؟ أبوها وبيربيها».

- «يعني نسيبها تتضرب؟»

- «وهي لوحدها؟ في بنات كتير أبهاتهم بيضربوهم.. ولا كل بنت هتتضرب هتجبها عندنا؟»

- «الموضوع مش زي ما إنتي فاهمة».

- «فهمني». سكت مصطفى وهو لا يدرى ماذا يفعل، أيقول لأمه الحقيقة؟ ولكنه بذلك يفضح أمينة «في حاجات مقدرش أقولها» قالها وعقد ساعديه أمام صدره.

- «يعني إيه؟»

- «يعني هي كده كده هتقعد في أوضة السطح» بُهتت الأم لرد ابنها الحاد عليها، فهي لم تعتد منه على هذه الحدة، وسكتت ففتح باب الغرفة وخرج ثم أشار إلى ميمي أمام أخته المندهشة، وقد بدا واضحًا أن صوتهما كان مسموعًا لها وقال: «يلّا يا أمينة أوريكي هتقعدي فين»، ثم حمل حقيبتها واتجه صاعدًا السلم تاركًا أمه وقد سال الدمع الصامت على وجهها وابنتها تربت على كتفها.

صعد مصطفى مع ميمي السلم إلى السطح وفتح باب غرفة السطح وأضاء المصباح الوحيد فيها، كان المكان في حالة فوضى كبيرة ممتلئًا بأغراض قديمة وأشياء لم تعد أسرة مصطفى بحاجة إليها، قال لها في إحراج «المكان محتاج نظافة.. بس أهو مكان مؤقت لغاية...» قاطعته قائلة وهي تنظر في عينيه: «أنت بتقول إيه بس.. أنت أنقذتني من جحيم أنا كنت فيه»، استمر تلاقي عينيهما لحظات قبل أن يقول لها بصوت خفيض: «صحيح اللي إنتي قولتيه لما اتقابلنا بالليل؟» نظرت للأرض في حياء مصطنع وقالت: «اللي هو إيه؟» صمت لحظة وقال: «أنك.. بتحبيني» نظرت لعينيه وقالت: «بحبك دي شوية.. هو ينفع أقول أني بعبدك؟» ارتج عليه ولم يجد ما يقول، وقبل أن يجد الرد هوت ساجدة تحت قدميه وهي تقول له: «أنا بعبدك»، اختلطت المشاعر داخله، فهو يعلم أنه لا يجوز ما قالت وما فعلت، إلا أنه كان يشعر بسعادة أيضًا، انحنى يمسكها من كتفيها ليوقفها، وعندما وقفت نظرت في عينيه في صمت، شعر أنه يغوص في عينيها ورغم الصمت إلا أنه شعر أنه يقول ويسمع آلاف الكلمات، قطع صمتهما وصول أخته التي قالت: «السلام عليكم» ترك مصطفى كتفي ميمي وابتعد عنها خطوات وقد احمر وجهه خجلًا، أما ميمي فقد أخفت غضبها وهي تبتسم في خجل مصطنع، دخلت

أخت مصطفى الغرفة وفي يدها مكنسة وفي يدها الأخرى دلوًا به ماء وعلى ذراعها الذي يحمل المكنسة قطعة قماش، تحرك نحوها مصطفى حتى وصل إليها، كانت قد وضعت المكنسة والدلو على الأرض فوضع يده على كتفيها وهو يبتسم قائلًا: «دي بقى يا ستي مي.. أختي ومسئولة النظافة في البيت زي ما إنتي شايفة كده» ضحكوا جميعًا وقالت مي: «ماشي يا سيدى.. اتفضل انزل أنت بقى علشان عندنا ماتش نظافة».

«حاضر يا ستي» نظر إلى ميمي نظرة أخيرة ثم خرج من الباب، كان ميمي ومي ينظران إلى الباب وميمي معطية ظهرها لمي وهنا ارتسمت على شفتيها بسمة انتصار.

الفصل السابع

مرت أيام وميمي مقيمة في منزل مصطفى، سأل مصطفى الدكتور فكري عنها، فليس من الطبيعي ألا يسأل عنها، فأجابه الدكتور فكري بأنه لا يعلم لماذا لم تأت إلى الصيدلية، كان مصطفى لا يجيد الكذب لذلك لم يسأل مرة أخرى، بل اكتفى بأن سأل مرة واحدة حتى لا يثير ريبة دكتور فكري بعدم سؤاله.

كانت مي طالبة في المدرسة الزراعية، وكانت أم مصطفى ربة منزل، لذلك في الصباح كان المنزل فيه أم مصطفى وميمي فقط وكانت أم مصطفى تخرج يوميًا لشراء حاجاتها وتغيب مقدار ساعتين من الزمن، كان قد مضى أسبوعًا على بقاء ميمي بمنزل مصطفى، وكانت الغرفة قد تحولت إلى مقر إقامة معقول، فقد وضعوا سريرًا صغيرًا كان مخصصًا لمي التي أصبحت تنام بجوار والدتها، كما وضعوا منضدة وكرسيين ووضعوا الأغراض القديمة بطريقة مرتبة في ركن من الغرفة، كما نظفوا دورة المياه الملحقة بالغرفة وأصلحوا الصنبور التالف بها. اعتادت ميمي أن تأكل مع أسرة مصطفى وجبتي الغداء والعشاء، وغير ذلك كانت تجلس في غرفتها، فلم تكن أم مصطفى ترتاح لها ولكنها

كذلك لا تستطيع طردها وقد رأت تمسك ابنها بها، ميمي كذلك لم تكن تريد أن تجلس مع أم مصطفى لأنها كانت تمارس طقوسها التي من شأنها أن تُيَسِّر لها السيطرة على مصطفى، كانت كذلك تعطي هدهد بعض الأغراض الخاصة بمصطفى وكان الأمر أيسر عليها لأنها أصبحت داخل المنزل وكانت تستغل فترة خروج أم مصطفى لتعطي هدهد ما يريد.

في ذلك اليوم بعد أن أكلوا وجبة العشاء قامت أم مصطفى ومي وفي يد كل واحدة منهما طبقين، وقامت ميمي وأمسكت طبقين وتلكأت قليلًا حتى دخلت أم مصطفى ومي المطبخ فمالت على مصطفى وقالت هامسة بسرعة: «زوغ بكرة من الشغل وتعالى لي الأوضة الساعة عشرة» قالتها واتجهت مسرعة إلى المطبخ حتى لا يشعر أحد بتأخرها، تركته وهو لا يفهم ما حدث من لحظات، لكنه خمن أنها تريد أن تكلمه في موضوع لا تريد أن تعرفه أمه أو أخته، كانت اختارت هذا الموعد لأن أم مصطفى تخرج فيه لتشتري أغراضها. نزلت أم مصطفى في اليوم التالي لتشتري طلباتها في الساعة العاشرة إلا الربع وراقبتها ميمي من سطح المنزل، وكأن أم مصطفى شعرت بشيء غريب فتوقفت ونظرت لأعلى فجلست ميمي سريعًا على أرض السطح حتى لا تراها أم مصطفى، جلست تلهث لحظات ثم وقفت ببطء منحنية ونظرت إلى الشارع لتجد أم مصطفى قد مشت في اتجاه السوق ففكرت: «مش سهلة الست دي.. مش سهلة أبدًا.. لكن على مين؟» وقفت تنظر إلى الشارع في انتظار مصطفى الذي جاء وبدا جليًا عليه أنه مرتبك وغير مرتاح، وبالفعل كان مصطفى يفكر: «مش عارف مالي.. حاسس أني باعمل حاجة غلط.. رغم أني رايح بيتي.. بس مبحبش أعمل حاجة متدارية.. بأحب كل حاجة تبقى في النور.. عمومًا أهي مرة وتعدي.. أكيد الموضوع مهم» كان يفكر ونظر إلى

سطح بيته بتلقائية فوجد ميمي واقفة مرتدية بيجامة منزلية اشترتها لها مي وكانت حاسرة الرأس ولما تلاقت عينيهما ارتسمت ابتسامة ساحرة على وجهها واندفعت للداخل لتستقبل مصطفى الذي فكر «البت دي اتهبلت.. واقفة بلبس البيت كده وشعرها باين.. أنا هبهدلها.. إزَّاي تعمل كده؟» كان الغضب يتصاعد داخله ولكنه فكَّر ثانية «هي بس على نياتها ومش فاهمة.. أكلمها باللين أحسن».

صعد السلم فوجدها واقفة تنتظره في الدور الثالث وقد ارتسم على وجهها السعادة وملأت البسمة وجهها، صعد حتى وصل إليها فقالت له وهي تمسك يده وتصعد إلى السطح وهو خلفها: « اتأخرت ليه؟»، كان يشعر بإثارة شديدة وقد جسمت البيجامة المنزلية جسدها، جسدها الذي لا يستطيع أن ينسي أنه رآه عاريًا يومًا ما، قال لها: «أبدًا أنا جاي في معادي» التفتت إليه باسمة وقالت: «حتى لو جيت في معادك أنا بأحس أنك متأخر».

وصلا إلى السطح فأدخلته الغرفة ثم وجهته بجذبها له ليجلس على السرير وليس على كرسي من الكرسيين، ثم وقفت أمامه، نظر إليها وفكر كم هي جميلة وفاتنة وأن كل هذا الجمال سيكون ملكه وحده، تذكر هنا أنها كانت تقف بملابس المنزل وبدون حجاب فوق السطح فقال غاضبًا: «إنتي إيه اللي عملتيه ده؟» اتسعت عينيها وضمت يديها على صدرها قائلة «أنا؟»

- «أيوة إنتي»

- «عملت إيه بس ده أنا لسه شايفاك دلوقتي.. لحقت أعمل إيه؟»

- «واقفة على السطح بالبيجامة وكاشفة راسك»

- «هو أنا نزلت الشارع؟ أنا جوة البيت».

- «السطح كأنه شارع.. أي حد ممكن يشوفك.. ما دام طلعتي من الأوضة يبقى تطلعي بالحجاب وبلبس واسع».

نظرت للأرض وقالت: «حاضر» رفعت عينيها إليه فوجدته ما زال غاضبًا فقالت بانكسار وهي تنظر إليه: «آسفة». شعر أنها أجمل وهي تعتذر له ولكنه ظل محافظًا على تعبيرات وجهه الغاضبة فقالت له بدلال: «خلاص بقى.. آسفة ومش هكررها تاني» ارتسمت ابتسامة على وجهه رغمًا عنه وقال: «متعمليش كده تاني».

- «حاضر.. بس أنت اتضايقت ليه؟» قالتها وهي تبتسم ابتسامة خجل مصطنع.

- «يعني مش عارفة؟» هزت كتفيها وهي ما زالت مبتسمة: «لا» صمت لحظات ثم قال: «علشان...» صمت مرة أخري للحظات يجمع فيها شجاعته ثم أكمل: «بحبك» قالها لأول مرة في حياته وكم كان وقعها غريب على أذنه، كانت مليئة بالمشاعر الحبيسة منذ مراهقته، قالت له بلهفة: «بجد!» ابتسم وقال: «بجد».

- «طب احلف».

- «أنا مبحلفش.. يا إما تصدقيني من غير حلفان يا إما بلاش».

- «إيه الرخامة دي.. طب احلف علشان خاطري المرة دي» صمت لحظات يفكر، كان لا يريد إغضابها وفي نفس الوقت لا يريد أن يحلف. «بقولك علشان خاطري.. إيه ماليش خاطر عندك؟» قالتها بدلال ذاب له قلب مصطفى الذي قال: «طبعًا ليكي خاطر». «طب احلف بقى» قالتها بدلال أكثر فلم يكن من مصطفى إلا أن قال: «والله بحبك».

- «وأنا بحبك حد العبادة» صمتت لحظة ثم قالت: «أنا بعبدك يا مصطفى» قالتها ثم هوت ساجدة تحت قدميه،

شعر بسعادة لسماع الكلمة ولسجودها له، فهو منذ أن فعلتها المرة السابقة وهو يتمناها في قرارة نفسه وإن كان يعلم أنه فعل وقول لا يجوز، جذبها من كتفيها لترفع رأسها عن الأرض فأصبحت عينيها في مستوى عينيه وهو جالس على السرير فالتقت عينيهما في صمت، رأى في عينيها حب ورغبة وكان هو أشد رغبة، في تلك اللحظة تذكر جسدها العاري، كم يتمنى أن يراه ثانية وأن يتمتع به، يجب أن نتزوج سريعًا، هكذا فكر، قطعت ميمي أفكاره وهي تقف وتقول له: «امشي بقى قبل مامتك ماتيجى.. بس كل يوم تعالى في نفس الوقت».

- «حاضر» قالها واتجه إلى الباب وفتحه فاستوقفته قبل أن يخرج قائلة: «مصطفى».

- «نعم».

- «بحبك».

- «بحبك».

- «بعبدك».

ابتسم لها ثم خرج وأغلق الباب خلفه.

الفصل الثامن

استمر مصطفى في القدوم إلى ميمي يوميًا في نفس الموعد، كانا يتكلمان ويتمازحان وأصبح مصطفى لا يتخيل يومه دون الجلوس مع ميمي والكلام معها، حتى أن يوم الجمعة بالنسبة له أصبح أسوأ أيام الأسبوع لأنه يوم إجازته ولا يستطيع أن ينفرد بميمي في هذا اليوم ولذلك أيضًا يكون يوم السبت أفضل أيام الأسبوع لأنه ينفرد بها بعد أن يكون في غاية الاشتياق لها، كانت ميمي مستمرة في خطتها بأن تكرر له كلمة: «بعبدك» وسجودها له حتى يألف هذه الأفعال ويمكن في المستقبل أن يفعلها، كان هدهد قد قال لها: «من أهم وأقوى أسلحتنا ألفة الخطأ.. يعني الناس تألف الخطأ والحرام وميبقاش شيء منتقد.. دايمًا بيكون في هيبة للغلط والحرام وبتبقى أصعب مرة أول مرة، وبعد كده الأمر بيهون.. مرة في مرة لغاية ما يبقى عادي».

كان اليوم هو السبت والشوق يقتل مصطفى لكي يجالس ميمي، دخل الشارع مسرعًا ونظر إلى السطح بلهفة حتى يراها تنتظره كما تعود ولكنها لم تكن موجودة، توجس خيفة في نفسه، فطوال الأيام الماضية كانت دائمًا تكون واقفة على السطح تنتظر قدومه، صعد السلم مسرعًا، كان يصعد عدوًا

ثلاث درجات في المرة الواحدة حتى وصل إلى السطح وهو يلهث، دفع الباب فوجده مغلقًا، شعر بتوتر شديد، طرق الباب بشدة وهو ينادي عليها لتفتح، ولكن لا مجيب، قرر أن يكسر الباب، دفع الباب بكتفه مرة وأخرى ثم ركل الباب بقدمه فانفتح، نظر في الغرفة ولم يجدها، سمع صوت ارتطام المياه بأرض الحمام فاتجه إليه ليجد بابه مواربًا فنادى على ميمي مرتين ولما لم يسمع ردًا دفع الباب ببطء ليجد ميمي ملقاة على الأرض وهي عارية والدش مفتوح كأنها كانت تتهيأ للاستحمام حين.. هو لا يدري، وضع أصابعه على معصمها ليرى إن كان هناك نبض وتنفس الصعداء حين شعر بنبضها، حملها وخرج بها من الحمام، كان يشعر بالخوف عليها وكذلك كان يشعر بنشوة لرؤيته لجسدها العاري مرة ثانية وللمسه لجلدها الناعم الذي ما زال عليه آثار تعذيب هدهد لها، ما لا يعلمه مصطفى أن ميمي كانت بالفعل تنتظر قدومه على السطح ولكنها كانت مختبئة خلف سور السطح حتى لا يراها، وعندما رأته أسرعت لتصنع المشهد الذي رآه مصطفى، وضعها على السرير ولطمها على وجهها وهو ينادي عليها بصوت عالٍ، تأوهت وفتحت عينيها ببطء، كانت فتحت بين فخذيها عامدة وكان هو ينظر إلى ما تكشَّف واضحًا أمامه وبلع ريقه بصعوبة، قالت وهي تضع يدها على رأسها: «إيه اللي حصل؟»، أسرع يضع فستانًا كان موضوعًا على أحد الكرسيين على جسدها ليغطيه، كان يتمنى أن تظل غائبة عن الوعي فترة أطول حتى يتمتع برؤية جسدها أكثر، قال لها: «معرفش.. أنا دخلت لقيتك واقعة في الحمام والدش شغال». نظرت لجسدها واعتدلت بعض الشيء وهي تمسك الفستان على جسدها، قال لها: «هاروح أقفل الدش».

«استنى.. سيبك منه»، نظرت له وقالت: «أنت شوفتني عريانة؟»، ارتبك

ونظر للأرض وقال: «غصب عني.. كان مغمى عليكي وكان لازم ألحقك».

- «أنا مش متضايقة». نظر لها فقالت: «أنا مبتكسفش منك؛ لأن أنت مني وأنا منك.. وأنا مش مكسوفة أنك تشوف عيوب جسمي».

- «إنتي جسمك مفيهوش عيوب». قالها وقد جف حلقه.

- «أنا عارفة أنه مليان عيوب».

- «لا والله ده مفيش أجمل من كده».

وقامت وهي ضامة الفستان على صدرها وقالت: «وأنا مش مكسوفة أنك تشوفه» قالتها ثم أفلتت الفستان، كانت النار تستعر داخله وهي تدور حول نفسها ببطء ثم نظرت له وقالت: «بحبك».

- «بموت فيكي».

- «بعبدك».

- «أنا اللي بعبدك» قالها ثم هوى ساجدًا لها، التمعت عينيها في نصر ولم تنتهِ هذه الزيارة إلا وقد زنى بها.

كان مصطفى يشعر بالحزن لما اقترفه، وفي اليوم التالي لم يأت في الموعد، فقد كان يحمل نفسه المسئولية عما حدث، وعاتب نفسه أن أمينة قد ائتمنته على نفسها وهو خان هذه الأمانة، ففكر أنه في هذا لم يختلف كثيرًا عن أبيها، إلا أنه قال في نفسه: إن ما حدث لم يكن اغتصابًا كما فعل أبوها، فهي حتى لم تطلب منه أن يبتعد عنها، لكنه عاد وفكر: إنها ما زالت صغيرة وبالتأكيد المسئولية تقع عليه، عند موعد العشاء فكر مصطفى ألا يأكل معهم، لكنه كذلك لم يطق فكرة ألا يرى ميمي، عندما جلسوا لوجبة العشاء تجنب مصطفى الكلام وإن اختلس نظرات إلى ميمي ليجد أنها تأكل شاردة الذهن،

حتى مي وأم مصطفى توقفا عن الكلام بعد أن شعرا أن هناك شيئًا غير عادي، وانتظرت ميمي حتى الانتهاء من الأكل وقيام أم مصطفى ومي وتلكأت كما فعلت سابقًا وقالت لمصطفى همسًا: «هستناك بكرة ضروري»، ظل مصطفى يفكر طوال الليل هل يقابل ميمي أم لا ؟ لكنه قرر أن يقابلها، لم يجدها منتظره على السطح ولكن هذه المرة لم يقلق، صعد إلى السطح ودخل الغرفة ليجد ميمي جالسة في الفراش ضامة ركبتيها إلى صدرها ومسندة رأسها إلى ركبتيها وقد انسدل شعرها ليداري وجهها، قال: «إزيك يا أمينة؟» رفعت رأسها وأزاحت شعرها من على وجهها لتكشف عن عينيها الحمراوين وأنفها المحتقن من أثر البكاء، نظر لها في صمت فقالت: «أنت مجيتش امبارح ليه؟»، لم يجب ونظر للأرض، فقالت بنبرة أعلى وبصوت متهدج: «أنت قولت...» تهانفت لحظة ثم أكملت: «أنك بتحبني» قالتها ثم انفجرت في البكاء، نظر لها وفكر أنها تبدو أجمل وهي تبكي، قال لها: «والله بحبك».

- «أمال سيبتني ليه؟»
- «أنا سيبتك؟»
- «أيوة.. أمال مجيتش ليه؟»
- «ده كان في تفتيش في الشغل فمعرفتش آجي».
- «بجد؟»
- «بجد».
- «طب احلف».

لم يشأ أن يحلف كذبًا فصمت لحظات قصيرة إلا أنها كانت كافية لتنفجر في نوبة بكاء أشد وهي تقول: «أنا كنت عارفة.. أنت ضحكت عليا.. أنت

قولت إنك بتحبني.. أنا افتكرت أني أخيرًا لقيت اللي هيعوضني عن ألم السنين اللي فاتت.. مكنتش أعرف أنك هتكون سبب في ألم أكبر» كان أداؤها رائعًا ربما لأن جزء منها كان يقول الحقيقة، قال لها «والله بحبك ومش هسيبك أبدًا» قللت من حدة بكائها وقالت بصوت مكتوم: «طب مجيتش امبارح ليه؟»

- «قولت لك كان في تفتيش».

- «طب احلف» صمت لحظة ينظر لعينيها، قال: «والله».

- «والله إيه؟»

- «والله كان في تفتيش امبارح».

- «يعني مش هتسيبني؟»

- «أنا أساسًا مقدرش أسيبك».

- «تعالى يا مصطفى» قالتها وفتحت ذراعيها فارتمى مصطفى بينهما، قالت له وهي تحتضنه: « عايزاك تجيلي كل يوم.. متفوتش يوم».

- «حاضر»

كان مصطفى يأتي لميمي يوميًا وكانا يزنيان، وكان مصطفى قد ترك الصلاة في وقتها لأنه كان يخرج من عند ميمي جنب ويحتاج للاغتسال ولا يجد مبررًا يقوله لأمه إذا رجع البيت واغتسل، فكان يغتسل في آخر اليوم بعد وجبة العشاء ويصلي الأربع فروض مع بعض، ولكن يوم بعد يوم أصبح الأمر ثقيلًا عليه، فأصبح يصلي العشاء ويؤجل الفروض الثلاثة الأخرى ليصليها عند استيقاظه ولكنه كان يستيقظ ويصلي الصبح فقط، ثم فكر: «أنا بس إزّاي أصلي وأنا باعمل اللي باعمله ده؟»، وبدلًا من أن يترك الأخطاء والكبائر

ويصلي ترك الصلاة واستمر في الخطيئة.

في ذلك اليوم قالت ميمي لمصطفى وهو يجامعها: «اشتمني» فوجئ مصطفى بالطلب فقال لها: «إيه؟»

- «اشتمنى.. قول لي يا ش... يا م... قول لي شتايم قبيحة» توقف مصطفى ونظر لها، فأمسكت وجهه بين يديها وقبلت شفتيه وقالت: «متبطلش.. اشتمني.. الشتيمة بتهيجني.. اشتم.. اشتم.. قول»، مع ضغطها عليه بدأ يسبها، بدأ ببطء كلمة تتلوها كلمة وهي تتصنع الإثارة بما يقول وبأنه كلما سب تثار أكثر، وهكذا بدأ يقول سريعًا كل السباب والشتائم والألفاظ الخارجة التي سمعها في حياته وبدأت هي تلقنه ليقول، كان مصطفى عفَّ اللسان لذلك دفعته هي ليقول أسماء أجزاء في جسديهما كان هو في الطبيعي لا يتخيل أن يقولها.

بعد أن اطمأنت ميمي إلى أن مصطفى قد تعود على السباب والكلام الخارج كان يجامعها في يوم وهو يسبها كما تعودا فقالت له: «قول لي يلعن... أم...» فوجئ بطلبها أن يسب الدين لعضوها التناسلي، أكملت: «متبطلش.. قول.. قول» احتضنته وقالت: «هيجني أكتر.. قول.. قول»، قالها فتصنعت أنها بلغت ذروة الشهوة، وفي البداية كانت هي تطلب منه أن يسب الدين أثناء جماعهما ومع الوقت أصبح يقولها هو دون طلب.

وفي يوم كان عائدًا إلى المنزل عندما مرت سيارة بجانبه خلال بركة من المياه مما أدى إلى أن يتناثر الماء على سرواله ففوجئ بنفسه يسب الدين للسائق، قالها بصوت خفيض لا يسمعه سواه، لكنه لم يكن يتخيل أن يسب الدين إلا إرضاء لميمي أثناء مجامعته لها، أخذ يفكر في طريق عودته كيف أنه

تغير كثيرًا في الآونة الأخيرة، كان يرفض أن يربط بين هذه التغيرات وبين ميمي وإن كان هناك جزء داخله يعلم أن ميمي هي السبب، كان سبه الدين لهذا السائق بمثابة صفعة على عقله، فمن يصدق أن كل هذه التغيرات حدثت في خلال فترة مكوث ميمي بمنزله التي تجاوزت الشهرين بفترة قصيرة، كان اليوم الخميس وحمد الله أن الغد هو الجمعة لأنه لن يذهب لميمي، فهو لا يريد أن يذهب لها ولكنه لا يعلم كيفية الخلاص من كل هذا الحرام الذي غرق فيه، فهي لن تدعه يبتعد عنها وهو يكره ما يفعله ولكنه كذلك يحبها ولا يريد أن يبتعد عنها، وضع يديه على رأسه وهو يسير فقد أوشك رأسه على الانفجار.

كان مصطفى يحرص على الذهاب للمسجد قبل أذان الجمعة ليجلس في الصفوف الأولى وليسمع الخطبة من البداية ولكن بعد معرفته لميمي أصبح يتأخر في الذهاب للمسجد إلى أن أصبح يذهب عند إقامة الصلاة، لكن في هذا اليوم ذهب مبكرًا وعندما وصل للمسجد وقف لحظات ينظر للمسجد الفارغ إلا من صفين من المبكرين وفكر أنه لم ير هذا المشهد من فترة ليست بالقصيرة، فاضت عينيه بالدمع ودخل المسجد وصلى ركعتين تحية المسجد وقال في السجدة الأخيرة: «يا رب ساعدني أن مش عارف أعمل إيه» كانت دموعه تسيل على وجهه في صمت طوال فترة صلاته، صعد الخطيب المنبر وبدأ الخطبة وشرد مصطفى وأخذ يفكر في ما اقترفه هل يمكن أن يُغفر له، وهل هناك خلاص من المستنقع الذي وقع فيه ولم يدر كم مر من الوقت ولكنه أفاق على صوت الخطيب يقول: «التوبة يا إخوتي.. لا يوجد ذنب لا يمكن أن تتوب منه مهما عظم في عينك.. وإليكم هذا الحديث.. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن كان قبلكم

رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصَفَ الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملَكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.» يا أحبائي التوبة تمسح الخطايا.. ليس فقط تمسحها بل تحولها إلى حسنات فاسمع معي إلى قول الله سبحانه وتعالى: «وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا».. أيها العاصي لا تيئس من رحمة الله فكل ما فعلت من سيئات ليس فقط ستمحى، بل سيبدلها الله لك حسنات.. هل هناك أكرم من هذا؟ في كرم أكتر من كده؟ ربك بينادي عليك وبيقول لك أقبل سأغفر لك شرط أن تتوب.. وللتوبة ثلاثة شروط: الندم على الذنب والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العودة للذنب.. وهناك شرط رابع إن كان الذنب متعلق بحق الناس أن ترد إليهم حقهم.. فعلى سبيل المثال إذا كنت أخذت مال أحد الناس ظلمًا فعليك أن ترد له ماله.. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» جلس جلسة الاستراحة بين

الخطبتين وترك المصلين يدعون ربهم، وكان مصطفى دموعه تسيل على وجهه أنهارًا، فقد كان كأن الخطبة موجهة له تذكر دعاءه «يا رب ساعدني أن مش عارف أعمل إيه» وشعر أن الله قد ساعده فعلًا وأرسل له رسالة لا يمكن ألا تفهم، فقال وهو يرفع كفيه إلى السماء «أستغفر الله وأتوب إليه».

جلس الشيخ أحمد شمس الدين بعد صلاة الجمعة وجاءه جمع من الناس كل يريد أن يستفتيه وانتظر مصطفى حتى فرغ الشيخ من إجابة أسئلتهم ثم اتجه إليه، فقد أثرت فيه خطبته أشد التأثير وشعر أنه في حاجة أن يسأله شخصيًا عن كيفية التعامل مع الموقف الذي هو فيه، تحرك تجاهه وكان الشيخ قد وقف فقال له: «السلام عليكم فضيلة الشيخ» رد عليه تحيته بأفضل منها، قال مصطفى: «أنا عندي مشكلة كبيرة وعايز أحكيها لفضيلتك علشان تنصحني»، نظر له الشيخ شمس الدين وقرأ أنه فعلًا في محنة كبيرة وأنه أصله طيب فقال له: «احكِ لي وإحنا ماشيين» خرجا من المسجد ومشيا سويًا ومصطفى يحكي له ما حدث منذ أن جاءت ميمي للصيدلية إلى أن استمع للخطبة، كان الشيخ عادته أن يعنف من يحكي ذنوبه له ويقول له: « لما تحكي لي متقولش زنيت.. لكن قول زنا رجل.. ربنا سترك فمتفضحش أنت نفسك»، لكنه لم يعنف مصطفى كان الشيخ يشعر بمعاناة مصطفى وأراد أن يتركه يحكي قصته، انتهى مصطفى من حكايته وكانت الدموع تجري على وجهه، كانا قد وصلا إلى موقف سيارات بلبيس حيث يسكن الشيخ الذي دُعِيَ اليوم ليلقي خطبة الجمعة في الزقازيق، قال مصطفى: «شور علي يا مولانا.. انصحني.. أعمل إيه؟ أنا مش عايز أكمل في الطريق ده».

- «أول حاجة متقعدش مع البنت دي لوحدكم أبدًا».

- «حاضر».

- «تاني حاجة أنت لازم تتجوز».

- «أتجوز مين؟»

- «تتجوز واحدة بنت ناس.. محترمة ومؤدبة».

- «مين دي؟»

- «في حد من قرايبكم؟ ولو مفيش أنا أشوف لك عروسة مناسبة.. هه.. في حد من قرايبكم؟»

- «في بنت خالتي».

- «يبقى تتجوزها بأسرع ما يمكن».

- «حاضر».

- «فاضل حاجة كمان».

- «اتفضل».

- «البنت دي لازم تسيب بيتكم».

- «إزَّاي بس؟.. يعني أرميها في الشارع؟.. ولا ترجع لأبوها يغتصبها؟»

- «مصطفى يا ابني.. اسمع كلامى.. أنا عايز مصلحتك».

صمت مصطفى ولم يرد فوضع الشيخ يده على صدر مصطفى وقال: «ربنا يهديك يا ابني ويوفقك لما فيه خير الدنيا والآخرة»، لم يأكل مصطفى وجبتي الغداء والعشاء مع أسرته وميمي التي سألت أمه عنه فأجابت أنه نائم ولكن ميمي لم تستسغ هذا الرد، وفي اليوم التالي لم يأت مصطفى لرؤيتها ولم يأكل معهم أيضًا، شعرت ميمي بالقلق فعندما سألت عنه أجابت أمه أنه

مُتعب وعندما طلبت أن تراه لتطمئن عليه أجابت أمه أنه لا يريد أن يقابل أحدًا، نفس الشيء حدث يوم الأحد، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل نزلت ميمي إلى شقة مصطفى ووقفت أمام الباب تردد بعض التعاويذ بصوت خفيض فانفتح الترباس الداخلي ببطء ثم انفتح الباب فدخلت هي وسط الظلام، مشت ببطء محاذرة أن تصدر أي صوت يوقظ أم مصطفى أو مي، وفي غرفتها استيقظت أم مصطفى فجأة ونظرت حولها لتجد مي نائمة بجانبها، كانت تشعر بانقباضة في قلبها فقالت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» قالتها ثم قامت ومشت خارجة من غرفتها لتشرب وعندما خرجت إلى الصالة رأت ميمي وهي تمشي في الظلام على أطراف أصابعها، اتسعت عينيها في رعب ثم مدت يدها لتضغط مفتاح إضاءة الصالة ليغر الضوء المكان، غطت ميمي عينيها بيدها للحظة وقالت أم مصطفى بصوت مرتفع حين ميزتها: «إنتي بتعملي إيه هنا؟» لم ترد ميمي، «ردي عليا.. إنتي بتعملي إيه هنا؟» استيقظ مصطفى ومي على صوت أمهما وخرجا إلى الصالة، قالت ميمي: «أنا نازلة أشوف مصطفى علشان قلقت عليه»، صمتوا جميعًا للحظات قصيرة وأم مصطفى ومي ينقلان نظرهما بين مصطفى وميمي، كانت ميمي تنظر لمصطفى ومصطفى ينظر إلى الأرض، قالت أم مصطفى: «وهو ينفع أنك...» قاطعتها ميمي وتمشي تجاه مصطفى وتقول له: «مصطفى حبيبي قلقتني عليك» اتسعت عينا مي في دهشة ورددت أم مصطفى باستنكار وبصوت خفيض: «حبيبي!» كانت ميمي وصلت إلى مصطفى فقالت وهي تمسك يديه: «أنا قلقت موت عليك» أبعد يديه عنها وغطت مي فمها بيدها في حين قالت أم مصطفى بصوت مرتفع: «أنت بتعملي إيه يا بت إنتي»، تجاهلتها ميمي وهي تقول لمصطفى: «هو في إيه يا حبيبي؟»، قالت أم مصطفى: «حبك

برص.. متردي عليا زي ما بكلمك»، نظرت لها ميمي ثم نظرت إلى مصطفى وقالت: «قول لها يا مصطفى»، لم يقل مصطفى شيئًا فقالت أمه: «عايزاه يقول إيه؟»، قالت ميمي: «إحنا بنحب بعض»، قالت أم مصطفى: «صحيح اللي بتقوله ده يا مصطفى؟»، تكلم مصطفى بصوت خفيض جدًا لدرجة أنهم لم يفهموا ما يقول، فقالت أم مصطفى: «بتقول إيه؟» كرر مصطفى ما قاله ولكن بصوت مرتفع «عايز أتجوز شيماء؟» قالت ميمي وعلى وجهها الدهشة: «شيماء مين؟» في نفس الوقت قالت أم مصطفى: «شيماء مين؟ شيماء سعيد؟» سألته أمه مستخدمة اسم بنت خالته كاملًا، أومأ برأسه إيجابًا، فقالت ميمي صارخة: «شيماء مين؟ حد يرد عليا»، ابتسمت أم مصطفى واتجهت إلى ابنها تحتضنه وقالت: «ده مش شغلك.. ألف مبروك يا حبيبي» احتضنت مي أخاها وقالت وهي التي ظلت صامتة طوال هذه المواجهة: «ألف مبروك يا درش»، كانوا الثلاثة -مصطفى وأمه وأخته- متعانقين وميمي واقفة وحيدة، كان الغضب يرتسم ببطء على وجهها إلى أن أصبح مكتملًا فقالت: «معناه إيه الكلام ده؟» التفتت إليها أم مصطفى وعلى وجهها السعادة وقالت: «معناه أن ابني رجعلي» صمتت ميمي لحظات والغضب على وجهها ثم تحول فجأة إلى رجاء وقالت: «مصطفى.. حبيبي.. بعد كل اللي حصل.. تتخلى عني.. بعد ما سلمتك نفسي» وضعت مي يدها على فمها واتسعت عيناها وهي تنظر لمصطفى في حين قالت أم مصطفى: «إنتي اللي غويتيه.. ابني كان طول عمره مستقيم لغاية لما عرفك» ظلت ميمي تنظر لمصطفى وتجاهلت كلام أمه وقالت: «رُد عليا يا حبيبي» كان مصطفى طوال الوقت ينظر للأرض فرفع عينيه لأول مرة وقال لميمي كلمة واحدة: «خلاص» قالت ميمي وما زال على وجهها تعبير الرجاء: «خلاص إيه يا حبيبي؟» قالت أم مصطفى: «ما قال لك

خلاص.. إيه مبتفهميش؟» تغير تعبير وجهها في لحظة ليبدوا شرسًا شيطانيًا وقالت: «خلاص إنتي يا ولية إنتي وابنك الـ...» صُدموا جميعًا للسبة التي سمعوها، فأكملت ميمي بنفس الشراسة: «هما فاهمين أنك ملاك.. أنت لا ملاك ولا نيلة.. أنت حتة عيل... و...» فاقت أم مصطفى من دهشتها وقالت: «اطلعي برة بيتي» «أنا ماشية بس اللي أنتَ عملته أنا هأحكي لكل الناس عليه يا... يا ابن...» قالتها ثم خرجت من المنزل تاركة مصطفى يبكي وأمه وأخته يربتان على كتفه.

جلست ميمي أمام هدهد على الأرض في غرفة البئر وقالت في غضب: «ابن الـ... ابن الـ... كان خلاص في إيدي.. ماعرفش إيه اللي خلاه يفلت مني».

- «عادي يا ميمي.. وارد.. المهم أنك عملتي كل اللي تقدري عليه.. محدش بيفوز على طول ومحدش بيخسر على طول.. الشطارة أنك تتعلمي من فشلك».

- «في مشكلة تانية».

- «إيه هي؟»

- «أنا حامل من الـ... اللي كنت عنده»

صمت لحظة ثم قال: «إنتي عارفة مين أمك؟» بدا عليها الدهشة ولم تفهم علاقة سؤاله بما قالت، ولكنها أجابت: «ما أنا دايمًا بسألك بس أنت عمرك ما رديت عليا».

- «آن الأوان أنك تعرفي».

- «ماشي.. مين أمي؟»

- «أمك هي أمي» اتسعت عيناها وفغرت فاها غير فاهمة وقالت: «مش

فاهمة.. معناه إيه الكلام ده؟»

- «إحنا بنتوالد داخليًا.. يعني أبويا يبقى أبو أمي، بتخلف منه، لو جت بنت بندبحها قربان لسيدنا، ولو جه ولد اللي هو أنا تربيه لغاية ما يبلغ وتخلف منه، لو جه ولد، أدبحه قربان لسيدنا، ولو جت بنت اللي هو إنتي أربيك لغاية لما تبلغي وأجيب منك عيل، طلع بنت تتدبح قربان لسيدنا، ولو جه ولد تربيه لغاية لما يبلغ وتخلفي منه، وهكذا.. إحنا مش مسموح لينا نخلف من حد برانا» كان وقع الكلام عليها مخيف فهي لم تكن تتوقعه، أكمل قائلًا: «اللي أنا قولته ده في العيال اللي بيننا، لكن العيال اللي من الناس العادية فقدامك حل من اتنين.. يا إما تسقطيه.. يا إما تخلفيه وندبحه لسيدنا» صمتت لفترة طويلة ولم يقاطع صمتها حتى قالت: «ندبحه» وبرقت عينا هدهد.

الفصل التاسع

جلس أحمد الخشاب ينظر لولديه مدحت وخالد وهما يلعبان، كانا قد بلغا عامهما الثالث، كان يشعر أنه ثمة شيء ليس على ما يرام، كان توأماه يظهران بعض العدوانية تجاه الآخرين بما فيهم هو وفايزة، ولكن عدوانية الأطفال لا تقلق بمفردها ولكن هناك أيضًا أكلهما للهوام والحشرات، فكم من مرة رأى ابنيه أحدهما أو كلاهما وهو يأكل صرصارًا وكان أحيانًا ينجح في أن يوقفهما وأحيانًا كان يصل متأخرًا، وفي مرة رأى خالد وقد أمسك في يده برصًا وقد أدخل رأس البرص في فمه وجرى أحمد ليمنع ابنه مما يوشك على فعله إلا أن خالدًا قضم رأس البرص وعندما حاول أحمد أن يفتح فم ابنه ثبت خالد عينيه على عيني أبيه وبلع رأس البرص، أخذ أحمد جسد البرص الهامد من يد خالد وجرى إلى الحمام ليقيء ما في جوفه وفكر أي طفل بل أي مجنون يمكن أن يأكل برصًا، دخلت فايزة إلى الصالة وفي يدها أطباق المهلبية الباردة وأعطت كل واحد طبقه ثم جلست بجوار أحمد وألصقت ظهرها بصدره وقالت: «مالك؟» نظر لها وقبَّلها ثم قال: «أبدًا.. بفكر في الولاد»، توقف الولدان عن اللعب ونظرا لوالديهما في نفس اللحظة بوجه جامد لا تعبير فيه،

بلع أحمد لعابه بصعوبة وهو يقول بصوت مخنوق: «بحبهم قوي» صرف الولدان نظرهما عن أبيهما وتابعا لعبهما وقالت فايزة مبتسمة: «دول أحلى أولاد في الدنيا» صمت أحمد ولم يعقب.

نظر خالد ومدحت إلى الفأر داخل القفص، كانا قد بلغ عمرهما عشر سنوات، كان الفار داخل المصيدة ينظر لهما في رعب ويخمش قضبان المصيدة بمخالبه، كان هذا الفأر قد أزعج أسرتهم فترة طويلة ولذلك نصب له أبوهم هذه المصيدة إلا أن أباهم ليس بالمنزل ليتعامل مع الفأر ولا أمهم كذلك، قال مدحت: «هنعمل فيه إيه؟»

- «مش عارف.. نغرقه أو نحرقه.. إيه رأيك؟»

- «نحرقه أحسن، بحب أسمع صوت صويته».

- «بقول لك.. أراهنك بجنيه أنك تقدر تاكل قضمة من الفار».

- « وأنا أراهنك باتنين جنيه أنك تقدر تقضم قضمة».

- «ماشي».

- «وهو صاحي». نظر خالد لأخيه والتقت عيناهما ثم ضحكا سويًا وخالد يفتح باب المصيدة وهو يقول: «يبقى ناكل سوى.. أنا عازمك» ارتفعت صوت ضحكاتهما وارتفع صراخ الفأر المسكين.

نظر خالد ومدحت إلى القطة التي تُرضع أطفالها داخل علبة كرتون في مدخل العمارة، كانت القطة قد وضعت أربع صغار وأحد سكان العمارة وضع لها علبة الكرتون وأصبح أغلب سكان العمارة يضعون لها الأكل وكانت القطة بصغارها مصدر بهجة لأغلب سكان العمارة، قال خالد: «بنت الـ... دي وعيالها صداع مياو مياو.. زهقونا في عيشتنا» نظر لمدحت الذي نظر له

بدوره، أكمل خالد: «إيه رأيك؟»

- «أنا هأخلص على الأم وأنت عليك عيالها».

- «بس استنى لما أخلص على العيال الأول.. عايزها تشوفهم وهما بيموتوا».

- «هتعمل دوشة وهتصوت».

- « ابقى اكتم بقها» انتزع مدحت الأم وثبتها على الأرض بيده اليمنى وركبته اليمنى وأمسك فمها بيده اليسرى حتى لا تصدر صوتًا، في حين أمسك خالد الصغار واحدًا تلو الآخر يخنقهم ببطء أمام نظر أمهم المسكينة حتى يسمع صوت كسر العنق، وعندما انتهى كانت الأم في حالت هياج شديد إلا أن مدحت كان يثبتها بقوة تفوق سنه، ثم جذب رأسها للخلف بقوة وسرعة وسمعا صوت عنقها ينكسر، وضعا الجثث الخمسة في الكرتونة وقال خالد: «هي اللي جابته لنفسها».

نظر مدحت وخالد إلى الكلب الجالس أمام مدخل العمارة وقال خالد لمدحت: «الكلب ده امبارح أول لما شافني قعد يهوهو وكان هيعضني»، كانا قد بلغا الرابعة عشر من عمرهما وكانا يمارسان رياضة الكاراتيه والتايكندو بنادي الشرقية وقد بدا واضحًا تأثير الرياضة على جسديهما العضلي الممشوق، أجاب مدحت: «يبقى الحل أنه ميشوفكش تاني» قالها وأخرج مطواة من جيبه، نظر كل منهما للآخر ثم انفجرا في الضحك، كان الوقت قد تعدى منتصف الليل وقد خلى الشارع من المارة وجميع المحال أغلقت أبوابها إلا محل البقالة في منتصف الشارع، قال خالد: «استنى أنت.. أنا هاشتري لانشون علشان نستدرجه جوه العمارة» وبالفعل عاد خالد ومعه كمية قليلة من اللانشون ووقف داخل مدخل العمارة يبسبس للكلب ويحرك قطعة

اللانشون، تحرك الكلب بخطوات بطيئة داخلًا لمدخل العمارة فوضع خالد اللانشون على الأرض ونظر إلى مدحت الذي قال: «يلّا» فانقض خالد على الكلب وثبته إلى الأرض بثقل جسمه وثبت رأس الكلب على الأرض مستخدمًا يديه فأطلق الكلب عواءً خافتًا نتيجة لعدم تمكنه من فتح فمه واقترب مدحت من الكلب وقرّب المطواة من عين الكلب وارتفع الصراخ المكتوم للكلب المسكين، وفي اليوم التالي وجد الناس جثة الكلب مدهومة بسيارة وقد فُقِئَت عينيه.

كان أحمد الخشاب يؤمن بأن الأولاد الذكور يجب أن يُتركوا للشارع ليعلمهم الحياة وحتى يتعلموا أن يدافعوا عن أنفسهم وألا يكونوا مدللين فتفتك بهم الحياة بصعابها، أو كما كان يصيغها: «مش عايز العيال تطلع طرية.. عايزهم رجالة»، كان هو الذكر الوحيد بين إخوته الستة مما جعله مدللًا وهشًّا وكان هو يداري هذه الهشاشة بالصوت العالي وتصَنُّع القوة، الأمر الذي لم يكن يخدع أكثر الناس، كان لا يحب تحمل أي مسئولية، لا يعمل عملًا إضافيًا لزيادة الدخل وتلبية طلبات بيته الإضافية، بل كان يكتفي بالأساسيات الطعام والدواء عند الضرورة والتعليم، ولكنه كذلك كان لا يؤيد فكرة الدروس الخصوصية، ليس عن مبدأ ولكن لأنه لا يريد أن يدفع ثمنها، وكم من مرة مرض هو أو أحد أفراد أسرته لكنه كان يأبى أن يذهبوا للطبيب، لكنه كان يرى في الليمون ومنقوع اللِّبان الدكر علاجًا لكل الأمراض حتى لا يدفع ثمن كشف الطبيب أو يضطر للذهاب للطبيب، الأمر الذي كان يكرهه بشدة لطول فترة الانتظار، بالإضافة لأنه لا يشعر بالراحة في أي منشأة طبية عيادة أو مستشفى لأنه يشعر أن المكان مليء بالجراثيم.

كان في داخله لا يعجبه حاله وغير راضٍ عن تلك الصفات، لكن تغييرها كان صعبًا، وكالعادة في أي شيء يتطلب مجهودًا وارادةً عزف أحمد عن محاولة تغيير نفسه.

كانت فكرته عن تربية ولديه هي تركهما للشارع بدون قيود أو مواعيد معينة للعودة، وعندما كانت فايزة تسأله عن خالد ومدحت وتأخرهما ليلًا خارج المنزل كان يرد: «هما بنت يا ولية؟! ما تسيبيهم يتعلموا الحياة»، وعندما كانت تُعرب عن مخاوفها من تعاطيهما موادًا مخدرةً أو إقامة علاقات غير شرعية مع البنات كان رده: «وماله؟ إيه المشكلة؟»، كان جزء من كلامه مبنيًا على رأيه، وجزء آخر لسبب كان يخشى أن يُصَرِّح به حتى لنفسه وهو أنه يخاف من ابنيه، كان لمدحت وخالد نظرة مخيفة، كانت بمثابة طلق ناري، وهو لا يحب أن يرى تلك النظرة، لذلك كان في أغلب الأوقات يسمح لهما بأن يفعلا ما يريدان، وكأنه يملك الرفض.

رأى خالد في منامه أنه يمشي ليلًا مع مدحت في الشارع المطل على ترعة بحر مويس أمام مسجد الفتح، ورأى أمامه امرأةً شقراء فاتنة الجمال ترتدي بنطلون جينز أزرق وجاكت جينز بنفس اللون، نغز خالد أخاه بمرفقه وهو يومئ برأسه تجاه المرأة وقال له: «بص.. شايف المزة؟»، نظر مدحت إلى حيث بشير أخوه ليجد المرأة تنظر لهما، كانت متكئة على الحقيبة الخلفية لسيارة بيجو 504 لونها بني محروق، ولفت نظره أن لون السيارة مميز لم يره من قبل كما أن رقمها مميز 141414، ابتسمت لهما وفتحت لهما الباب الخلفي للسيارة قائلة: «تعالوا اركبوا معانا»، فكر خالد أنها تتكلم بصيغة الجمع، وفكر في من عساه يكون معها، وخمن أنها امرأة أخرى أكيد، نظر

لأخيه ليجده يبتسم وقد وصل لنفس الاستنتاج، تحرك مدحت تجاه السيارة، ركبا ليجدا في المقعد الأمامي المجاور لمقعد السائق رجلًا، لم يلتفت الرجل عند ركوبهما، أغلقت المرأة الباب الخلفي للسيارة ثم ركبت في مقعد السائق والتفتت إليهما قائلة: «إزيك يا خالد.. إزيك يا مدحت» اتسعت عيناهما وهما يتبادلان نظرات الدهشة، وقال مدحت:»إنتي عرفتي اسمنا منين؟»

- «أنا أعرف عنكم كل حاجة».

- «أنتو مين طيب؟»

- «أنا ميمي» وأشارت إلى الرجل الذي التفت لهما وقالت: «وده...»، كان وجهًا متشحًا بالظلام فلم يتبينا ملامحه، أمسكت بمصباح يدوي ووجهته تجاه وجه الرجل وأضاءته وهي تقول: «سيدنا».

استيقظ خالد يلهث ليجد مدحت قد استيقظ يلهث هو الآخر، كانا يتشاركان غرفة واحدة، قال خالد: «أنا حلمت بكابوس».

- «وأنا كمان».

- «شوفت أننا ماشيين قدام جامع الفتح على البحر...» كان كما أهل الأقاليم يطلقون على النيل والترع لفظة البحر.

- «ونادت علينا واحدة حلوة علشان نركب معاها» ظهرت الدهشة على وجه خالد وقد فهم أن مدحت أيضًا رأى نفس الكابوس فقال: «شوفت وش الراجل اللي...» قاطعه مدحت قائلًا: «متفكرنيش.. أبشع وش شوفته أو هشوفه».

- «وده معناه إيه؟ إننا نحلم بنفس الكابوس؟»

- «ولا حاجة كابوس عادي» ثم ابتسم وأكمل: «بمناسبة عيد ميلادنا» كانا

قد بلغا السادسة عشر من عمرهما، نظرا للساعة المضيئة على المكتب التي أشارت أرقامها إلى 3:33 ثم قال خالد: «خلينا ننام عندنا مدرسة بكرة.. قصدي النهارده».

مرت خمسة أيام وكان مدحت وخالد عند صديق، وأثناء عودتهما ليلًا مرَّا بطريق ترعة بحر مويس أمام مسجد الفتح كانا يتكلمان ولفت نظر خالد امرأة في غاية الجمال مستندة على الحقيبة الخلفية لسيارة بيجو 504 لونها بني محروق، تسمَّر خالد مكانه وتوقف مدحت ينظر لأخيه وقال: «مالك يلا؟»، أشار خالد إلى ميمي وقال بصوت مختنق: «بص». نظر مدحت إلى حيث يشير أخوه ثم فغر فاه واتسعت عيناه من الدهشة ولم ينبت ببنت شفة، تحركت ميمي خطوات قليلة وتوقفت أمام باب السيارة الخلفي وفتحته وهي تقول: «تعالوا اركبوا معانا»، اصفر وجهاهما من الخوف فضحكت وقالت: «متخافوش سيدنا مش في العربية»، لكن كلامها لم ينجح في إزالة خوفهما، فقد كانت تتكلم عن حلم مشترك كأنه حقيقة، ارتسمت الدهشة على وجه خالد الذي قال: «هو ده كان حقيقي؟» في حين لم ينبس مدحت ببنت شفة، ضحكت ميمي وقالت: «لا كان حلم»، صمتت لحظة ثم تابعت: «بس أنا بأعرف أنتو بتحلموا بإيه»، احمر وجه مدحت وقال: «أي حلم حلمته إنتي عارفاه؟» أومأت برأسها إيجابًا وقالت: «أيوة» ازداد احمرار وجه مدحت وقال هامسًا: «يا خبر أسود». ضحكت ميمي وقالت: «متخافش مش هقول لحد»، ثم نظرت له بخبث وقالت: «بس هي أحلام تجنن»، أشارت ثانية لباب السيارة الخلفي وقالت بدلال: «اركبوا معانا بقى»، نظر خالد بتوتر للسيارة وقال لها متسائلًا: «هو مين معاكي؟»

- «مولانا» ارتسم الخوف على محياهما، فقالت مهدئة إياهما: «متخافوش.. بقول مولانا.. مش سيدنا».

- «وإيه الفرق؟» قالها مدحت بتوتر.

- «الفرق أنه بشر.. زيي وزيك.. هو مش زيك أوي يعني» صمتت لحظة ثم قالت: «إنما سيدنا...» ارتعدت فرائصها وهي تكمل: «سيدنا زي ما أنتو شوفتوا كده».

- «إذا كان سيدنا مش بني آدم.. يبقى هو إيه طيب؟» هكذا تساءل خالد.

صمتت طويلًا هذه المرة ثم قالت: «هتعرفوا في وقته»، ثم أشارت إلى باب السيارة الخلفي وقالت بدلال: «يلا بقى»، فكر مدحت وخالد أن طريقتها في الكلام مثيرة جدًا، ركبا السيارة ليجدا رجلًا جالسًا في المقعد الأمامي المجاور لمقعد السائق، توترا وهما يتذكران نفس المشهد من الكابوس، ركبت ميمي في مقعد السائق وأمسكت بمصباح يدوي، في حين التفت إليهما الرجل ولكن وجهه ظل في الظلام، بلغ التوتر مبلغه حين وجَّهت المصباح تجاه وجه الرجل وقالت: «أحب أعرفكم بمولانا»، وأضاءت المصباح فشهق خالد ومدحت ولكن كشف ضوء المصباح اليدوي عن وجه هدهد المبتسم، فأطلق مدحت وخالد زفرة ارتياح، قال مدحت: «يا خبر على السسبنس» ضحك هو وأخوه، في حين لم يضحك هدهد وإن ظل محافظًا على ابتسامته، وميمي كانت بلا تعبير تنظر لهما بالتناوب، توقفا عن الضحك في إحراج وتنحنحا حين لم يشاركهما هدهد وميمي الضحك، قال هدهد وهو ما زال مبتسمًا -الأمر الذي بدأ يوترهما فابتسامته بدت وكأنها محفورة في ملامحه-: «أنا عايز أقول لكم إنكم من أبناء سيدنا، وإن دمه بيجري في عروقكم». ارتسمت الدهشة الممزوجة

بالبلاهة على وجهي خالد ومدحت، وعبَّر خالد عن عدم فهمه قائلًا: «يعني إيه الكلام ده؟»

- «هتعرفوا كل حاجة متقلقوش» قالها هدهد ثم أخرج من جيبه بطاقة تعريف -كارت- ومد يده إليهما فالتقط مدحت الكارت فتابع هدهد: «هستناكم بكرة الساعة تسعة في العنوان ده».

- «تسعة الصبح ولا بالليل؟» هكذا تساءل خالد، فقال هدهد وهو ما زال محافظًا على نفس الابتسامة: «بالليل طبعًا.. إحنا شغلنا كله هيكون بالليل.. بالليل بس.. إحنا أولاد الليل».

ركب خالد ومدحت السرفيس إلى محل الأسيوطي للموبيليا بشارع فاروق ومشيا في الشوارع الجانبية حتى وصلا إلى شارع جانبي مغلق بمبنى، كان نفس المكان وإن بدا أحدث وقد أُجريت عليه بعض الترميمات وتم إضافة دورين علويين، كان قد تم دهانه بلون أزرق فاتح وبدا وكأن الستة عشر عامًا التي مضت كانت في صالحه وليست ضده، وكان مكتوبًا على لوحة كبيرة معلقة فوق مدخل العمارة: «دكتور حسن هدهد.. معالج روحاني وأخصائي في علم الماورائيات»، وهو نفس المكتوب على الكارت الخاص به، دخلا إلى المبنى ليجدا ميمي واقفة أمام باب الشقة بالدور الأرضي، دعتهما للدخول، كانت نفس الصالة التي دخلتها هناء منذ ستة عشر عامًا، نفس الكراسي البلاستيكية، ونفس الأرضية العارية من السجاد، ونفس الإضاءة باللمبات النيون، وكأنها انعزلت عن باقي المبنى الذي طالته يد التجديد والترميم، كان هدهد يستغل هذه الشقة في أعماله الخاصة وكان مركز العلاج الروحاني في الدورين الأول والثاني علوي، والدور الثالث كان للإقامة له ولميمي ولابنيهما

راجح، دخلا إلى الصالة فأشارت إلى غرفة المكتب وقالت: «مولانا منتظركم» تركا في اتجاه الباب الذي أشارت إليه في حين أغلقت هي باب الشقة، توقفا أمام الباب فتحركت إلى باب غرفة المكتب، كانت فاتنة الجمال في ردائها الأحمر القصير الذي يكشف مما فوق ركبتيها ويكشف ذراعيها من الأكتاف، فتحت باب غرفة المكتب ليظهر أمامهما هدهد الجالس خلف مكتبه يبتسم ابتسامة كبيرة، دخل خالد ومدحت إلى غرفة المكتب، ودخلت خلفهما ميمي وأغلقت باب المكتب، الأمر الذي حيَّر مدحت، فمن الواضح أنه لا يوجد غيرهما في الشقة إن لم يكن في البناء كله، فلماذا تغلق باب المكتب وأورثه هذا إحساس بالحصار، كانت غرفة المكتب أيضًا لم تتغير منذ دخلتها هناء منذ ستة عشر عامًا، إلا أنه كان يوجد مقعدين مواجهين للمكتب وليس مقعدًا واحدًا، وقفت ميمي خلف المكتب بجانب هدهد الذي أشار بيديه إلى المقعدين المواجهين للمكتب وقال: «اقعدوا» جلسا ونظر خالد إلى ميمي الواقفة على يسار هدهد بطريقة الحارس الخاص -بودي جارد- هكذا فكر خالد، قال هدهد: «إنتوا طبعًا عايزين تعرفوا إنتوا هنا ليه؟ وإحنا نعرفكوا منين؟». قال مدحت «يا ريت». أجاب هدهد وهو ما زال مبتسمًا نفس الابتسامة، الأمر الذي أصبح موترًا لهما، تلك الابتسامة الثابتة المخيفة: «إنتوا أولاد سيدنا.. دم سيدنا بيجري في عروقكم.. ويوم ما أبوكم... أمكم كان... سيدنا مع... أبوكم في... أمكم « ارتسمت الدهشة على وجهيهما للحظات قصيرة، مما قال وقد أشار لفعل الجماع وللأعضاء التناسلية لأبيهما وأمهما وذلك المدعو «سيدنا»، ثم حل الغضب محل الدهشة وهمَّ خالد أن يقوم من مقعده ليضرب هدهد عندما ثبت هدهد عينيه عليه واختفت ابتسامته وشعر خالد أنه مقيدًا بمقعده لا يستطيع أن يحرك يديه أو قدميه أو يتكلم،

نظر مدحت لأخيه بقلق، وعندما سمع حشرجة تخرج من حلقه همَّ أن يقوم ليتفقده ولكن هدهد أشار إليه بيده ليجد نفسه مقيدًا هو الآخر بقيد غير مرئي لمقعده لا يستطيع الكلام، نقل هدهد نظره بينهما ثم قال: «إنتوا لازم تفهموا اللي بأقوله.. إنتو نلتوا شرف ما بعده شرف.. إنكم ولاد سيدنا.. أنا مرسال سيدنا ليكم.. هتسمعوا كلامي.. هتنالوا رضا سيدنا وهتبقوا ملوك بعد سيطرة سيدنا.. مش هتسمعوا الكلام.. سيدنا هيخلَّص عليكم.. مفهوم؟» كانا لا يستطيعان الكلام ولا الحركة ولكنهما هزَّا رأسيهما إيجابًا فعادت الابتسامة إلى وجه هدهد، في حين شهقا خالد ومدحت وقد انفك القيد عنهما وقال خالد وقد ارتخى جسده المجهد على المقعد: «ممكن نروح؟»

- «ممكن.. بس هستناكم بكرة نفس المعاد».

قال الشيخ أحمد شمس الدين وهو يحاضر في درسه يوم السبت: «كما قلنا سابقًا الأذكار هي حصنك الذي تتحصن فيه من الشيطان، كما أنه من حق أبنائك عليك أيضًا أن تحصنهم من الشيطان.. فبقولك أذكار الجماع فإن شاء الله وكان بينكما ولد فإنك تحصنه بتلك الأذكار.. واسمع إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله جَنِّبْنَا الشيطانَ وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه أن يُقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدًا».. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال الله: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينًا * قال أرئيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذريته إلا قليلًا * قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورًا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم

في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا «.. صدق الله العظيم.. انظر إلى قوله تعالى: «وشاركهم في الأموال والأولاد».. إنك إن لم تقل أذكار الجماع فإن الشيطان يشاركك.. وكما ذكر في بعض التفاسير: «إذا جامع الرجل ولم يُسَمِّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله تعالى: «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان».. هل تريد أن يُجامع زوجتك معك الشيطان؟ بالطبع لا.. فاذكر الله قبل الجماع.. الشيطان ضعيف.. يحميك منه أن تقول بسم الله.. كلمة بسيطة لكنها من القوة أنها تحميك من الشياطين».

الفصل العاشر

قال الدكتور ضياء نور الدين محاضرًا طلابه: «الحب.. الحب هو أسمى المشاعر.. وما يبرز أفضل ما فينا من صفات.. ولا أتكلم هنا عن حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل.. ولكني أتكلم عن الحب في المطلق.. حب الأب لابنه والأم لولدها.. حب الصديق لصديقه.. حب الخير والحق والجمال.. ومن عِظَم هذا الشعور النبيل أمرَنَا الله أن نحبه وأن نحبَّ نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم».

قال هدهد مخاطبًا دكتور ضياء نور الدين: «مفيش حاجة اسمها حب».

جلست نورا ملاصقة لخالد وقد تشابكت أصابعهما، كانا يجلسان على دكة صغيرة أسفل سلم العمارة الملاصقة لعمارة خالد ومدحت وقد أخفاهم السلم عن الناظرين، نورا تسكن في العمارة المقابلة لعمارة خالد ومدحت، وهي تصغرهما بعام، منذ ولادتها شعر خالد بأنها جزء منه، جزء من كيانه، وحيث إن خالد ومدحت توأمان غير متماثلان فلم يكن هناك مزاح من طرف

مدحت وادعاؤه أنه خالد حتى يحظى ببعض المتعة من نورا. كان خالد الجالس مع نورا يختلف كل الاختلاف عن خالد الذي يعرفه الجميع، وكان هذا ملاحظ للكل، وكان مدحت دائمًا يقول له: «البت دي بتخليك طري»، كانا يسترقان لحظات الخلوة التي يخطف فيها خالد قبلة أو لمسة، وكانت نورا تتصنع الرفض ثم تتركه يفعل ما يشاء، وإذا شعرت أن الأمور ستتطور كانت تغادر، وهو كان يعرف متى تتصنع فكان يقدم ومتى ترفض حقيقة فكان يتركها ترحل.

قالت له: «إيه أخبار ماتش بكرة؟» ابتسم ورفع يدها إلى فمه يقبلها ثم قال: «هنكسب طبعًا»، كانا يتكلمان عن مباراة في دوري المدرسة لكرة القدم، وكانت مباراة الغد هي المباراة النهائية بين فصله وفصل الثالث الثانوي، وكان هم أصغر منهم بسنة، لكن خالد كان واثقًا من الفوز فقالت له نورا: « يا واد يا واثق» قال لها وهو يبتسم: «عندك شك أن إحنا هنكسب؟» صمتت لحظة ثم قالت: « ده إنتوا هتت...» تصنَّع الغضب وهو يقول لها: «كده؟» قالت له بابتسامة متخفية: «أيوة كده».

«حاااااضر» قالها متصنعًا أنه يضربها وإن كانت هذه الضربات في حقيقتها لمسات قوية وهي تقاومه وقالت له: «بس لحد يسمعنا». كان وجهه قد أصبح على مسافة سنتيمترات من وجهها وهي على ظهرها على الدكة فقال لها هامسًا وهو ينظر في عينيها: « يبقى تتضربي وإنتي ساكتة» قالت له بدلال بعد أن نقلت نظرها بين عينيه ثم نظرت لشفتيه: «وأهون عليك؟» أشعلت نظرتها غرائزه فقال: «أيوة»، ثم قبَّل فمها ويده تسرح في جسدها، استمرا لحظات حتى شعرت هي بإثارة شديدة في جسديهما فدفعته عنها وقالت

متصنعة الغضب: «مش هتبطل قلة أدب أنت أبدًا». ثم قامت وعدلت من ملابسها وانطلقت مغادرة، قال لها بصوت مرتفع: «هستناكي بكرة» قالت دون أن تلتفت إليه: «مش هآجي» وابتسمت، لكنه كان يعرف أنها ستأتي فهي دائمًا تقول له ذلك.

قال هدهد مخاطبًا خالد ومدحت وقد جلسوا على البساط في غرفة البئر مواجهين له ولميمي: «أنتم لازم تفهموا أنكم نلتم الشرف أنكم جزء من جيش سيدنا.. وأنكم مش لوحدكم.. بالعكس أنتو كتير.. بس قبل أي حاجة لازم تعلنوا ولاءكم لسيدنا» صمت لحظات وهو ينظر لهما فسأله مدحت: «وده إزَّاي موضوع الولاء ده؟» أشار هدهد لميمي فقامت إلى الطاولة أمام الجدار المواجه لباب الغرفة وأزالت قطعة من القماش الأسود كانت تستر تمثال الغزال المجنح ونصفه الأمامي لرجل فظهر لهما التمثال وأشارت ميمي بيدها اليمنى المفتوحة إليه كأنها مضيفة في متحف تعرض إحدى القطع الأثرية، وقال هدهد: «إنكم تسجدوا له»، كان خالد ومدحت قد تابعا ميمي أثناء إزالتها الغطاء عن التمثال فأعاد مدحت نظره لهدهد قائلًا: «إيه ده؟» أجاب هدهد باقتضاب: «سيدنا» نظر مدحت لخالد الذي كان يكتم ضحكته إلى أن ضحك مدحت فلم يستطع أن يستمر في كتم ضحكاته، بدا الاستنكار على وجه ميمي في حين بدا الغضب الشديد على وجه هدهد الذي قال: «ممكن أعرف بتضحكوا ليه؟» تبادل خالد ومدحت نظرة سريعة ثم قال مدحت: «أصل سيدكم ده طلع صغير قوي» قالها ثم ضحك هو وخالد، اختفى الغضب من وجه هدهد وخلا وجهه من أي تعبير وصمت تمامًا في حين شعرت ميمي بالدهشة لتركه لهم دون أي رد فعل، استمر خالد ومدحت في الضحك لحظات ثم صمتا في ارتباك وتنحنحا كعادة من يضحك ولا يجد استجابة

من الحاضرين، ظل هدهد صامتًا لحظات لا يبدو على وجهه أي انفعال ثم فجأة ارتفت سيقان خالد ومدحت في الهوا وجذبتهما قوة إلى أعلى فأصبحا معلقين في الهواء كأنهما معلقان من قدميهما بحبل غير مرئي، انطلقت منهما شهقة ثم أرادا الصراخ ليجدا أنهما لا يستطيعان وحرّكا أيديهما في الهواء في استنجاد صامت فقط ليجدا أيديهما قد ضُمَّت رغمًا عنهما لصدريهما، توترت ميمي وهي تنظر إلى خالد ومدحت معلقين في الهواء وكأنهما مُحنطين أو مُكفَّنين بكفن غير مرئي، لم تكن قد رأت هدهد يفعل شيئًا مماثلًا قبل ذلك، قام هدهد واتجه لخالد ونظر له بهدوء وقال: «واضح أن أنتم مش فاهمين أنا بأكلمكم عن مين» تحرك بخطوتين إلى مدحت الذي يفصله عن خالد متراً ونظر له قائلًا: «أنا مكنتش باطلب.. أنا بأمركم». رجع خطوتين إلى الوراء وقال بنفس الهدوء في بحر الصمت الذي لا يقطعه إلا صوت أنفاس ميمي الثقيلة وهمهمة خالد ومدحت المكتومة: «أنتم شوفتم سيدنا يقدر يعمل إيه.. هو يقدر يسحقكم دلوقتي» مع نهاية جملته شعرا بالضغط يتزايد على جسديهما وكأن هناك قبضتين عملاقتين غير مرئيتين تعتصران جسديهما، أطلقا صرخة لكنها خرجت على هيئة همهمة وشعرا بصدريهما يضيقان وأنهما لا يستطيعان التنفس، وفجأة انتهى كل شيء فسقطا على الأرض من ارتفاع نصف متر وشهقا يغرفان الهواء داخل رئتيهما ويسعلان، قال هدهد بهدوء وإن ذهب التعبير الجامد عن وجهه: «قولتم إيه؟» تراجع خالد تجاه جدار الغرفة حتى ألصق ظهره به وقال بصوت خفيض وهو يجمع شتات نفسه: «في إيه؟»

- «هتعلنوا ولاءكم لسيدنا؟»

- «إزَّاي طيب؟»

- «اسجدوا له».

- «حاضر» قالها خالد وزحف على يديه ورجليه إلى أخيه وجذبه من يده فتبعه زاحفًا هو الآخر حتى توقفا أمام التمثال الموضوع على المنضدة وسجدوا له، قال لهم هدهد: «قولوا ورايا» كرروا خلفه العهد وهم ما زالوا ساجدين، ثم أخرج هدهد من جيبه رقاقة جلد آدمي مكتوب عليها كلمات وأرقامًا وفردها على أرض الغرفة بين خالد ومدحت وجلس أرضًا وأخرج سكينًا صغيرًا وقال لهما: «هاتوا إيديكم» رفعا رأسيهما ليجلسان وأعطيا أيديهما لهدهد الذي جرح يد خالد لتسقط قطرات من دمه على رقاقة الجلد، ثم فعل المثل لمدحت، ثم جرح نفسه، ثم سكن لحظات قال بعدها لميمي: «هاتي ايدك إنتي كمان». أعطته يدها ليجرحها هي الأخرى وتمتزج دماؤهم جميعًا على رقعة الجلد رفع رأسه وقال: «سيدنا الأعظم نوثق عهدنا معك بالدم حتى لا يكون منه فكاك أبدًا»

عادا إلى منزلهما يملؤهما الرعب مما اختبرا اليوم، فتحا الباب ليجدا أمهما تحل الكلمات المتقاطعة بجريدة اليوم السابق ومعها جريدة اليوم لتراجع الحل إذا استعصت عليها كلمة، لم يتكلما ولم يُسَلِّما على أمهما، بل اتجها إلى غرفتيهما في صمت وسمعا أمهما تقول: «أجيب لكم الأكل؟» لم يردا ولكن لم تهتم أمهما فهي معتادة على تعاملهما الغليظ، استلقيا كل منهما على سريره واسترجع خالد كلمات هدهد: «اللي حصل كله هيفضل سر بنا.. محدش يعرف عنه حاجة.. ولا حتى نورا» قال الجزء الأخير من كلمه وهو ينظر لخالد الذي قال في دهشة: «أنت تعرف نورا؟»

«أنا أعرف كل حاجة.. العقاب هيكون فظيع لو حد منكم حكى اللي حصل.. وأنتم شوفتم بنفسكم سيدنا يقدر يعمل إيه»، كان قد علَّمهما طقوسًا يفعلونها وأعطاهما نموذجين مماثلين للتمثال الذي سجدا له وكانا يذهبان له يوميًا الساعة التاسعة مساء، قال لهما: «أنتم لازم تفهموا أن الدنيا دي هي فرصتكم الوحيدة.. لو مش اتمتعتم فيها يبقى اتنصب عليكم.. مفيش آخرة.. ده نصب بيضحكوا بيه على الضعفا علشان يستحملوا.. لكن الأقويا جنتهم هنا وآخرتهم هنا.. جنتهم دلوقتي»، وفي يوم قال لهم: «آن الأوان تقابلوا إخواتكم اللي زيكم» قال له مدحت متسائلًا: «هو في غيرنا؟».

- «طبعًا.. كتير».

- «هنا؟.. في الزقازيق؟»

- «في الزقازيق وفي غير الزقازيق». صمت لحظة وقال: «تعالوا معايا علشان هوريكم المكان اللي بنتجمع فيه» خرج هدهد بصحبة خالد ومدحت وركبوا سيارة هدهد.

تقع منطقة تل بسطة الأثرية على جانب الطريق الموصل بين سوق الجملة في نهاية شارع فاروق وإدارة المرور بين منطقة التجنيد ومستشفى الحميات يفصلها عن الطريق سور مُكَوَّن من طوب يعلوه حديد، وكان هناك طريق ترابي بعرض مترين يسير بمحاذاة سور مستشفى الحميات يسلكه الأهالي للوصول إلى منازلهم، على الجانب الآخر من المنطقة الأثرية وكان الأهالي قد أزالوا جزءًا صغيرًا من السور ووضعوا بعض الحجارة على شكل درجات ليهبطوا عليها، حيث إن المنطقة الأثرية تنخفض عن مستوى الطريق المرصوف، بالطبع مع غروب الشمس كان المكان يخلوا من المارة ويصبح

مرتعًا للموبقات، يوجد كشك خشبي ناحية المنازل يجلس أمامه شيخ طاعن في السن على سبيل الحراسة، لكنه لا يمكنه السيطرة على مكان بتلك المساحة مملوءًا بالأحجار الكبيرة التي تصلح كل واحدة منها أن تكون سترة لوكر.

أوقف هدهد سيارته على جانب الطريق بعد نهاية سور تل بسطة واتجه يتبعه خالد ومدحت إلى الجزء المؤدي للطريق الترابي ونزلوا على الدرجات الحجرية وبدلًا من أن يسيروا في الطريق الترابي ساروا أسفل السور الفاصل عن الطريق لمسافة ثلاثين مترًا، كان المكان كله يمتلئ بالنباتات التي نمت دون تدخل بشر، توقف هدهد وأزال كومة من الأغصان وأشار لهما هامسًا: «ادخلوا»، تبادلا النظرات وإن كان لا يستطيع كلاهما رؤية عين الآخر من شدة الظلام، وقال مدحت بصوت خفيض: «فين؟»، أشار هدهد بيده لفجوة دائرية بقطر متر بدت أسفل كومة الأغصان وهمس: «هنا» ترددا لحظة فأمسك هدهد بكتف مدحت ودفعه إلى داخل الفجوة فأخفض مدحت رأسه ودخل ليجد نفسه في مكان مظلم لا يستطيع أن يرى ما حوله، دفع هدهد خالد ثم دخل هو وأمسك الأغصان ليغلق بها المدخل، وقف خالد ومدحت محنيان ظهريهما في المساحة الضيقة المظلمة وهما لا يريان شيئًا وشعرا بهدهد يعبر من جانبهما وهو يقول: «ورايا» تحرك هدهد وخالد ومدحت في ممر يجبرهما على السير بظهر منحنٍ، أشبه بممر الدخول إلى الهرم، كان الممر يتجه لأسفل بميل ملحوظ وإن لم يكن شديدًا كممر دخول الهرم، ساروا لمدة عشر دقائق وقد بدت لخالد ومدحت أشبه بساعات طوال وبدت أصوات أنفاسهم وخطواتهم كالضجيج داخل هذا الصمت المظلم، وعندما انحنى الممر جهة اليمين بدأ الظلام يتبدد، ساروا بضع خطوات ثم انحنى الممر انحناءة أخرى وبدا مصدر الضوء على بعد عشرين مترًا.

وصلوا لنهاية الممر ليدلفوا إلى غرفة واسعة مضاءة بالمشاعل المعلقة على الجدران التي تزينها نقوش فرعونية، لهث مدحت وخالد من المجهود والتوتر ونفضا عن ملابسهما الغبار وأدارا عينيهما في الغرفة يتفقداها، كانت الغرفة دائرية خالية إلا من تابوت حجري يتوسطها وكان غطاء التابوت موضوعًا على أرض الغرفة مسندًا للتابوت، كان للغرفة أربع مخارج دائرية غير المخرج الذي دخلوا منه موزعة على مسافات متساوية، لفت نظر مدحت وجود نقش لغزال مجنح نصفه الأمامي لرجل، نفس شكل التمثال الذي سجدوا له، فنكز أخاه على مرفقه، التفت إليه خالد ليجده يومئ برأسه تجاه النقش فالتفت إلى حيث يشير ثم أعاد نظره إلى أخيه مندهشًا. «يلا بينا» قالها هدهد واتجه إلى المخرج الثاني يمين المخرج الذي دخلوا منه، دلف هدهد بدون تردد إلى المخرج فاندفع خالد ومدحت خلفه يتبعانه، كان ممرًا مشابهًا للممر الذي دخلوا منه يجبرهم على السير منحنين ويتجه لأسفل بميل غير شديد، ساروا فيه لخمس دقائق بدت كعمر لمدحت وخالد ثم خرجوا منه إلى غرفة أخرى، دخلوا الغرفة الأخرى ليجدوا فيها خمسة شباب، ثلاثة فتيان وفتاتين، لم تبد عليهم الدهشة، كأنهم كانوا يتوقعون قدوم خالد ومدحت، كانوا يجلسون على مقاعد حجرية تشكل دائرة، وكان عدد المقاعد تسعة مقاعد، توقفوا عن الصخب والكلام عندما دخل هدهد بصحبة خالد ومدحت واعتدلوا في جلستهم، كان الخمسة شباب يجلسون على خمسة مقاعد من ست متجاورات، بحيث أصبح هناك ثلاثة مقاعد فارغة متجاورة، جلس هدهد على المقعد الأوسط منهم معتدل الجسد مهيب، ثم أشار بذراعيه الممتدتين مفتوحا الكف إلى المقعدين المجاورين له، فتردد خالد ومدحت لحظة ولكنهما كانا يدركان أنه ليس بيديهما إلا طاعة هدهد، جلسا على

المقعد الحجريين، وأدارا نظرهما في الغرفة المضيئة بلا مشاعل، وفكر خالد وهو ينظر للسقف العصري المضيء الذي يتعارض مع سمة القِدم العامة الغرفة، إن الإضاءة في هذه الغرفة حتمًا كهربائية وإن كان من الصعب أن يُتخيل توصيل التيار الكهربي لهذا المكان، قطع استرسال أفكاره هدهد وهو يقول: «أحب أعرفكم بأجدد أعضاء كتيبتنا» صمت لحظة ثم أضاف وهو يشير بيده اليمنى المفرودة للمقعد يمينه قائلًا: «مدحت»، ثم أشار بيده اليسرى المفرودة قائلًا: «وخالد» تعالت عبارات الترحيب من الحاضرين ورد عليها مدحت وخالد بإيماءات مبتسمة، صمت هدهد حتى انتهوا من عبارات الترحيب وقال: «أعرفكم بأعضاء كتيبة سيدنا الأعظم» قالها وأشار إلى المقعد على يمين مدحت وقال: «مرفت» أومأت برأسها وقالت: «مفيش آخرة ولا جنة ولا نار، كله نصب علشان الضعفاء يدنهم يخدموا الأقوياء». أشار هدهد للمقعد التالي وقال: «تامر». قال تامر: «الشر دايمًا أقوى من الخير وأكتر فاعلية»، ارتبك فِكر مدحت وخالد وفكر خالد إذًا هم يعرفون أنهم شر، ولكن أليس الشر شيئًا سيئًا؟ أشار هدهد للمقعد الذي يليه وقال: «إسكندر»، فكر مدحت: «ده في مسيحيين كمان»، قال إسكندر: «الدنيا صراع بين سيدنا الأعظم وبينه»، فكر خالد في الضمير في كلمة بينه يعود لمن؟ هل من المعقول أنه يقصد...، ترك هدهد المقعد الفارغ وأشار للذي يليه وقال: «شادي». قال شادي: «الدنيا عبارة عن متع.. اتمتع على قد ما تقدر ولو على حساب أي حد». أشار هدهد للمقعد التالي وقال: «ريم». قالت ريم: «الحب ضعف والكراهية قوة.. خلِّي الكراهية هي المحرك ليك» ارتسم الرضاء على وجه هدهد شأن معلم يرى طلابه النجباء، في حين بدا الأمر لمدحت أشبه بفرقة عسكرية يقوم أفرادها بتعريف رتبهم ومهماتهم بتعبيرات وجههم الصارمة

ونبرة صوتهم القوية، كانت ملابسهم تقليدية، ملابس الطبقة الوسطى، ليست مبالغ فيها وليست حقيرة، لو رأيتهم يسيرون في الشارع فلن يلفتوا نظرك بأي اختلاف عن السواد الأعظم من الناس، قلَّب هدهد نظره بينهم جميعًا في صمت ثم قال: «إحنا جنتنا هنا.. علشان كده لازم نتمتع.. نتمتع على قد ما نقدر.. مفيش حاجة اسمها حرام.. كل شيء مباح.. اللي عايزه أو اللي عايزاه.. اعمليه.. بس خلُّوا بالكم مفيش دين صحيح ولا آخرة ولا جنة ونار بس في قانون.. علشان كده اللي هنعمله هيكون متداري عن عيون الناس.. لكن بعد سيطرة سيدنا.. اللي عايزينه هنعمله في وسط الدنيا كلها».

صمت لحظات ثم قال مشيرًا لجزء معين من جدار الغرفة وقال: «ورا الحيطة دي جنتنا.. بعض الضعفا جبناهم هنا علشان نتمتع بيهم.. كل اللي نفسكم فيه اعملوه.. عايز أسمع صوت صويت كتير وصراخ كتير» والتمعت عيناه وهو يقول: «كل الأدوات اللي ممكن تحتاجوها هتلاقوها جوه» مد يده أسفل مقعده وأخرج حقيبة ظهر وفتحها وهو يقول: «بس الأول هنغير هدومنا علشان لما نرجع بيوتنا ميبقاش على هدومنا دم» حذوا جميعًا حذوه وأخرجوا من حقائب الظهر بدلات تدريب رياضية صفراء اللون وأحذية رياضية بيضاء وخلعوا ملابسهم وأحذيتهم وجواربهم وارتدوا البدلات الرياضية والأحذية الرياضية وتحرك هو إلى جزء الجدار الذي أشار له وضغط على حجر بارز منه فانقسم الجدار بصوت عال وانفرج كاشفًا عن غرفة مستطيلة أكبر بكثير من الغرفة السابقة أشبه بقاعة منها بغرفة، أداروا جميعهم نظرهم في الغرفة وبدا أنهم جميعًا يرون الغرفة لأول مرة، بدأت الرؤية تتضح لهم مع ارتفاع صوت البكاء والصراخ، كانت هناك مناضد حجرية موزعة على مساحة الغرفة الواسعة، كان هناك فتاتان وشاب وطفل ورجل مسن مقيدين عرايا

إلى خمسة من المناضد وقد قُيدت أيديهم وأرجلهم لأركان المناضد، وكان هناك فتاة مقيدة عارية وفي وضع مقلوب وقد تباعدت يداها وقدماها إلى الجدار الأيمن للغرفة وكان بجانبها منضدة كبيرة عليها الكثير من الأدوات التي بأحجام مختلفة وتنوع كبير، وكانت آثار الدماء الجافة على المناضد والأرض والجدران تدل عما تم في هذه الغرفة الملعونة، قال هدهد وهو يرفع يديه أمامه: «انطلقوا واستمتعوا».

نظروا جميعًا له وهم واقفون أمامه على هيئة نصف دائرة، وبدا كأنه مدرب فريق رياضي يلقي تعليماته لفريقه قبل خوض مباراة، أكمل قائلًا: «خليكم فاكرين.. مفيش حساب.. كل اللي نفسه في حاجة يعملها» ثم ابتسم وقال: «لو دُقتم طعم اللحم البشري مش هتقدروا تبطلوه» قالها ثم انطلق يضحك على خلفية من صراخ وبكاء واستجداء الضحايا ثم أكمل» والكلام ده عن تجربة».

الفصل الحادي عشر

جلست نورا بجانب خالد الشارد الذهن المخفض الرأس على غطاء بالوعة المجاري المرتفعة عن سطح الأرض. بنصف متر، كان هذا من أماكن لقاء خالد ونورا، فهو يقع بين غرفة صغيرة والجهة الخلفية لمنزل من دورين، على حدود المزارع الخاصة بكلية الزراعة، والمكان إجمالًا ليس مطروقًا بشكل كبير، والمارة القلائل كانوا لا يرونهم، إن الغرفة الصغيرة كانت تخفيهم عن الناظرين، نظرت نورا لخالد الشارد وقالت: «ما لك؟ « لم تجد ردًا ولم يبدُ عليه أنه سمعها، كانت لم تجلس معه لمدة أسبوع وهو في عرف علاقتهما يعتبر دهرًا، كانت تراه يسير في الشارع شارد الذهن فتقترب منه وتهمس له بالمكان والزمان ليلقاها ولكنه لم يأت أبدًا، وكان لهما مجموعة أماكن يتلاقيا فيها فلم يكن هناك حاجة لكلام كثير فمثلًا عندما تقول له: «المزارع تلاتة العصر» أو «بير العمارة تمانية بالليل» لم يكن هناك احتمال لأي سوء تفاهم، ولذلك هي لم تفهم أبدًا سبب عدم حضوره ولكنها اليوم عندما رأته يدخل الشارع وهي في شرفتها نزلت تجري واقتربت منه في حين هو لم يبد عليه أنه رآها، فأمسكت يده توقفه وقالت: «النهارده المزارع خمسة العصر». نظر لها

ولمحت نظرة غريبة في عينيه، نظرة أقلقتها جدًا، نظرة مُعَذَّب، قالت في قلق: «ما لك؟» قال بصوت خفيض مبعدًا عينيه عن عينيها: «ولا حاجة» صمتت لحظة ثم قالت: «على الله متجيش» وابتعدت وهي تكاد تُجن من القلق على حبيب عمرها، ومضى عليها الثلاث ساعات حتى الموعد كثلاث سنين، ونزلت قبل الموعد بربع ساعة رغم أن المسافة يمكن قطعها من منزلها إلى مكان اللقاء في خمس دقائق إلا أنها لم تعد تطيق الانتظار، وعندما وصلت قبل الموعد بعشر دقائق وجدت خالد جالسًا على تلك الحال من الشرود والضعف، الذي لم تكن تعرفه أن خالد جالس هكذا منذ أن قابلها، لم تدر ماذا تفعل، فهي لم تره هكذا من قبل، فخالد دائمًا مرحًا ومتحركًا، وكان دائمًا في قربها يحاول لمسها وتقبيلها، أما أن يجلس بقربها صامتًا شاردًا هكذا فهو أمر جديد عليها، مسحت بيدها على ظهره وقالت: «في إيه بس يا حبيبي؟» لم يرد ولم يتبدل في جلسته شيء فأمسكت ذقنه بأناملها وحركت وجهه تجاهها وقالت: «بص لي طيب» وعندما رات وجهه شهقت، فقد كان هناك خيطان من الدموع ينزلان من عينيه المحمرتين من أثر البكاء، قالت في جزع: «يا لهوي» ثم احتضنته قائلة: «في إيه بس يا حب عمري؟» شعرت بجسده يهتز من البكاء قبل أن تسمع صوته ينشج وقد سال الدمع والمخاط على صدرها الذي أخفى وجهه، كان مشهده يبكي يُدمي قلبها، فهي لا تذكر أبدًا أنها رأته يبكي حتى وهو طفل صغير، كان يغضب لكنه لا يبكي، مشهد الأقوياء يبكون مشهد مؤثر في حد ذاته، فما بالك بحبيبها، لم تكن تعلم السبب في كل هذا، لكنها تركته يفرغ دموعه على صدرها وقد أحاطته بذراعيها كأنما تحميه من خطر هي لا تعلمه، وأخذت تمسح على ظهره وقد غلبتها دموعها وتقول له: «متخافش يا حبيبي أنا معاك»، كان عقلها يفكر في السبب لكل هذا، هل من

الممكن أن أباه أو أمه أو أخاه قد مرض بمرض خبيث أو هذا ما يمكن أن يكون السبب في هذا الانهيار العاطفي لهذا الجبل الذي لم تكن تتصور أن يهتز فضلًا عن أن ينهار هكذا، ابتعد خالد عن نورا ماسحًا وجهه بيديه فأخرجت نورا منديلًا من جيبها وأعطته لخالد الذي استخدمه ثم قال: «أنا خايف قوي».

- «من إيه؟»

- «لا.. قولي على مين؟»

- «على مين؟»

- «عليكي».

- «من إيه؟»

- «منه.. ومني».

قالها ثم أجهش بالبكاء.

***

جلست نورا في غرفتها تفكر فيما حدث اليوم في مقابلة خالد، حاولت أن تفهم لماذا أخبرها أنه يخاف عليها من نفسه، ما الذي يحدث؟ ولماذا يخاف عليها من نفسه؟ ومن هو الذي يتحدث عنه عندما أخبرها أنه يخاف عليها «منه»؟ ولكنها لم تأخد أي إجابات وقام وتركها وحدها لا تفهم ما حدث، دخلت عليها أختها التي تكبرها بسنتين والتي تشاركها الغرفة وقالت عندما وجدتها شاردة: «في إيه يا كتكوتة؟» صمتت لحظات ثم قالت: «خالد».

- «ما له».

- «مش عارفة».

- «يعني إيه مش عارفة؟ احكي وأنا أعرفك».

- «عمال يقول خايف عليا من حد بس مقاليش مين وخايف عليا من نفسه».

- «يمكن بيهزر معاكي».

- «بيهذر إيه بس ده كان بيعيط».

- «يعيط؟.. خالد يعيط؟» قالتها في دهشة ثم أردفت: «جديدة دي» صمتت لحظات تفكر ثم قالت: «ما تيجي نسأل أمه؟» فكرت نورا ثم قالت: «يعني إنتي شايفة كده يا أمل؟ أنا مش عايزة أعمل مشاكل».

- «مشاكل إيه بس.. إحنا هنروح نسلم عليها ونسأل عليهم ونقول كلام عادي كده إن خالد شكله متغير شوية».

وبالفعل ذهبتا إلى فايزة وسألاها عن خالد، وكان السؤال منطقيًا، فكل المنطقة تعرف علاقة خالد ونورا، وكانت إجابة فايزة أنها هي الأخرى تشعر بتغيير في ولديها منذ أسبوع، وإن كان خالد يبدو عليه التغيير أكثر، كانت لا تعلم أن أول حفلة عربدة كانت منذ أسبوع وتم بعدها حفلتين، وفي حين كان مدحت يشعر أه وجد جنته كان خالد يشعر بصراع داخله، كان خالد داخل عرفته مستلقٍ على سريره وعندما دخلت أمه لتخبره أن نورا في المنزل وتريد أن تطمئن عليه أخبرها أن تقول لها إنه نائم، تذكر كلام هدهد له بعد الحفلة الثالثة.

- «عايزك ت... نورا» بدت الدهشة عليه عندما أخبره هدهد بكل هدوء أنه يريده أن يغتصب نورا، ثم تحولت الدهشة إلى غضب وقال: «أنت بتقول إيه؟»

- «زي ما سمعت».

- «دي حبيبتي».

- «مفيش حاجة اسمها حب.. لكن في حاجة اسمها جنس ورغبة وشهوة»

صمت لحظات ينظر إلى خالد ثم قال: «يا ابني أي بنت بتبقي عايزة حبيبها ي... بس بتعمل نفسها مش عايزة.. تلاقيها فاكراك ملاكش في الحريم» قالها ثم انفجر ضاحكًا، لم يضحك خالد وقال: «نورا مختلفة عن كل البنات».

- «أنت بس اللي أهبل» ثم تحولت ملامحه إلى الصرامة الشديدة وهو يقول: «وبعدين أنا مبخدش رأيك.. أنا بأمرك.. وأنت عارف سيدنا.. مينفعش تقول له لأ».

- «هيعمل إيه يعني.. لو هيموتني.. أنا معنديش مشكلة.. المهم نورا تبقي بخير».

- «هو مش هيموتك ولا هيؤذيك.. لكن نورا...» انفعل خالد وعلا صوته وهو يقول: «لو جه ناحية نورا أنا...» قاطعه هدهد: «أنت إيه؟.. إيه اللي تقدر تعمله لسيدنا؟.. أنت بالنسبة لسيدنا صرصار.. مش أكتر من صرصار.. وقت ما يحب...» صمت لحظة ثم ضم أصابع يده بقوة وهو يقول: «يفعصه».

تذكر خالد ما قام به هدهد ومدى قوة ذلك الذي يدعوه هدهد «سيدنا» وخاف كثيرًا على نورا فقال: «طيب أرجوك خليه يبعد عن نورا.. هي ملهاش ذنب». برقت عينا هدهد بقسوة وهو يقول: «والناس اللي اتعذبوا وماتوا على إيدينا امبارح كان ذنبهم إيه؟» لم يجد خالد ما يقول، فقال هدهد: «ذنب نورا أنها ضعيفة وأنها تعرفك.. تخيل أنها ماشية في أمان وفجأة تخبطها عربية.. هي ذنبها إيه؟.. دي حظوظ».

صمت خالد يحاول هضم هذا المنطق فأكمل هدهد: «وبعدين لو خيرتها بين أنها ت... وأنها تموت تفتكر هتختار إيه؟.. لو واحد طلع عليها وهددها بمسدس يا إما يموتها يا إما ي... تفتكر هتختار إيه؟.. هتلاقي لنفسها عذر وتفرط في شرفها».

- «لا» قالها خالد بقوة ثم أكمل: «نورا لا يمكن تفرط في شرفها».

- «هتفرط» قالها هدهد ثم ابتسم وأكمل: «ومش بعيد تتكيف كمان».

هم خالد أن يهجم على هدهد بعد الذي قاله لكنه تذكر محاولاته وكيف سيطر عليه هدهد وعَذَّبَه دون حتى أن يتحرك، وكأنما قرأ هدهد أفكاره فقال: «قرار حكيم». قال خالد متسائلًا: «قرار إيه؟» ابتسم هدهد وقال: «أنك متهجمش»، دُهش خالد من قراءة هدهد لأفكاره ولكن هدهد لم يعطه فرصة للدهشة فقال: «وبعدين اشمعنا البنات اللي في الوكر مصعبوش عليك.. ده إحنا فرتكناهم.. هو أنت فكرك أنهم ملهمش أهل وحبيب يخاف عليهم زي ما أنت خايف على نورا؟ الأوامر هي الأوامر» لم يجد خالد ما يرد به ولكنه قرر أن يغير استراتيجيته وأن يستعطف هدهد فقال له: «أرجوك.. أتوسل إليك.. خرج نورا بره موضوعنا».

- « أخرجها إزاي؟.. دي أوامر سيدنا».

- «حرام عليك» قالها خالد بانكسار. فرد هدهد باستنكار: «حرام.. يعني إيه حرام؟ أنا قولت لك مفيش حرام.. كل شيء مباح».

- «مش قصدي حرام حرام يعني.. قصدي سيبها في حالها».

- «عمومًا هسيبك تفكر.. وخليك فاكر أن دي أوامر سيدنا» ثم ربت على كتفه وقال: «وخلينا بكرة نشوف رأيك».

لم يفهم خالد ما الذي سيتسبب في تغيير رأيه غدًا ولكنه عندما نام تلك الليلة رأى أنه في مكان مظلم لا يكاد يرى كف يده وسمع صوت نورا تستنجد به «خالد.. الحقني يا خالد» توترت أعصابه وأدار رأسه جهة الصوت وهو يقول: «إنتي فين.. أنا مش شايفك.. الدنيا ضلمة قوي» حاول أن يتحرك ليجد أنه لا يستطيع تحريك قدميه، توتر أكثر وقال بعصبية: «إنتي فين؟».

- «قدامك».

حاول ثانية أن يحرك قدميه لكن دون جدوى وفجأة أنارت بقعة في الغرفة على بعد ستة أمتار منه، وفي هذه البقعة كانت نورا ممددة عارية على منضدة حجرية مثل التي في غرفة العربدة وقد باعدت بين يديها وساقيها، إلا أنه لا يوجد قيود تثبتها للمنضدة فقال لها بتوتر: «قومي يا نورا.. قومي بسرعة» فاضت عينيها بالدموع وقالت: «مش قادرة».

- «مش قادرة إزاي؟ أنتي مش مربوطة بحاجة».

- «مش عارفة إزَّاي مش قادرة.. تعالى أنت طيب».

- «مش عارف أنا رجلي مربوطة».

أمالت رأسها تجاهه وقالت: «لا.. رجلك مش مربوطة» نظر إلى قدميه على أثر الضوء القادم من عند نورا ليجد أن قدميه حرتين لكنه لا يستطيع أن يحركهما، وفكر من أين يأتي هذا الضوء؟ قطع أفكاره صوت صراخ نورا وكأنها تُعذب في جحيم مستعر، رفع رأسه ليرى نورا وكل عضلة فيها ترتعش وقد وقف بجانبها المخلوق بشع الوجه الذي رآه قبل ذلك في الحلم المشترك مع أخيه، كان يرتدي روبًا منزليًا أحمر اللون، ترك الكائن البشع نورا واتجه إلى

خالد ووقف على بعد متر منه وقال: «أنا أمرتك أنك ت... نورا وأنت رفضت.. دلوقتي أنا اللي هـ...ها»، قالها وهو يفتح الروب ليكشف عن جسده العاري، تحرك عائدًا تجاه نورا التي تحولت إلى آلة للصراخ والاستنجاد بخالد الذي قال في عصبية: «خلاص موافق». صعد الكائن فوق المنضدة وجلس بين ساقي نورا فقال خالد بعصبية: «قولت لك موافق.. سيبنا بقي». نظر الكائن لخالد ثم اغتصب نورا التي تعالى صراخها وأخذت تبكي، وفي حين أخذ خالد يصرخ ويسب بأقذع الألفاظ وغطى وجهه بيديه ليجد أن يديه تنزلان رغمًا عنه فأبعد وجهه ناظرًا جهة اليمين ليجد وجه هدهد على بعد سنتيمترات من وجهه وهو يبتسم ويقول: «مش قولت لك هتتكيف» بدا عدم الفهم على وجه خالد، في حين أكمل هدهد وهو يومئ برأسه تجاه المنضدة: «سيدنا كيفها على الآخر» انتبه خالد إلى أن صراخ نورا اختفى وحل محله صوت تأوهات، فنظر إلى نورا ليجد على وجهها علامات الشبق وهي تتأوه، وهنا استيقظ خالد.

كان خالد في صراع كبير مع نفسه بعد ذلك الحلم، وفي اليوم التالي عندما طلب هدهد أن يقابله وحده مما وتَّر خالد فهو لم ير مخرجًا مما هو فيه، بادره هدهد قائلًا: «إيه رأيك؟»

- «في إيه؟»

- «في اللي شوفته امبارح» قالها ثم أشار بذراعه إشارة تعني الجماع بدا في عين خالد للمرة الاولي نظرة استسلام ولم يجد ما يقول، بل نظر إلى الأرض قائلًا: «خلاص هنفذ». برقت عينا هدهد وربت على كتفه قائلًا: «أيوة كده.. برافو عليك».

وفي اليوم التالي حدثت المقابلة مع نورا في المزارع وهو الآن راقد في سريره مشتت بين أن ينفذ ما أُمر به وبين ألا ينفذ ويتركها فريسة لذلك الكائن، لكن هل في إمكان شيطان أن يغتصب إنسية، هو يسمع عن اللبس والمس، ولكن هل في الإمكان أن يجامع شيطان إنسانة، هو لا يعلم ولا يريد أن يعلم، هو يريد فقط أن ينجو من هذا المأزق وأن ينقذ حبيبته.

في اليوم التالي ترصد خالد مرور نورا في الشارع، وعندما رآها ذهب إليها وقال: «عايز أقابلك بكرة الساعة عشرة». لم تكن تتوقع أن يطلب هو مقابلتها فقالت: «فين؟»

- «في البيت عندي».

- «إيه!» قالتها في استنكار ثم أردفت بصوت مرتفع: «أنت فاكرني إيه؟»

- «ششششش.. وطي صوتك.. هتفضحينا» همست قائلة: «أنت فاكرنى إيه؟»

- «فاكرك حبيبتي» قالها بصوت حزين وترقرقت عيناه بالدموع، الأمر الذي أثر فيها بشدة فقالت: «امتى؟»

- «الساعة عشرة».

- «بس هما عشر دقايق».

- «ماشي».

في اليوم التالي جاءت نورا إلى منزل خالد وقد ظنت أنه في حاجة إليها أو أنه «هيفضفض» لها عما يُثقل كاهله.

وكان والداه في عملهما وكان المنزل خاليًا، وعندما جلست بجانبه انقض عليها ولم تنفع توسلاتها له ليتوقف، في حين كان هو يبكي ويقول لها إنه يفعل ذلك لمصلحتها ولم تستطع بجسدها الأنثوي الضعيف أن تغلب بنيانه العضلي.

جلس خالد القرفصاء مسندًا ظهره إلى السور الذي يفصل شريط السكة الحديد عن الطريق المرصوف في منطقة نفق كوبري الممر، كانت الدموع تنهمر من عينيه أنهارًا على ما فعل بحبيبته والإنسانة الوحيدة التي كان يتحول معها إلى إنسان طبيعي، كان الوقت ليلًا وقد جاوزت الساعة العاشرة مساءً، إلا أن الضجيج القادم من النفق والشوارع المحيطة كان مرتفعًا، واستغل خالد مرور قطار وصوته المرتفع ليطلق صرخة مدوية وقد رفع وجهه للسماء وقد تقلصت عضلات يديه ورجليه وامتدت الصرخة فترة عبور القطار المسرع وتسرب منها الجزء الأخير إلى مسامع

المارة والجلوس في المنطقة المحيطة، الأمر الذي لم يجدوا له تفسيرًا، انتهى خالد من صرخته ونظر إلى السماء يحرك قبضته قائلًا: «أنا هوريك.. مش أنت سيبتني ليه يلعب بيا؟» ثم ضرب بقبضته على صدره وقال: «أنا هاحرق قلبك على رجالتك».

الفصل الثاني عشر

جلس خالد ومدحت أمام هدهد على أرض غرفة البئر وبدا على خالد أنه يكتم في داخله نار تستعر وقال خالد بغضب: «إحنا سايبين رجالته ليه؟» رفع هدهد حاجبه الأيسر وهو يبتسم بخبث متسائلًا: «رجالته؟» قال خالد بعصبية: «أيوة.. رجالته.. المشايخ».

- «وعايزنا نعمل لهم إيه؟»

- «نقتلهم» قالها خالد وعينيه تكاد تستعر.

في حين قال مدحت: «أيوة بقى.. الكلام الجد ابتدى» تساءل هدهد: «ونقتلهم ليه؟» رد خالد بنفس العصبية: «لأنهم بيخدعوا الناس.. لو كان موجود أمال سيبنا ليك ليه؟» قال هدهد هو يبتسم: «شوفت لما اتحررت من حبك المزعوم بقيت أقوى إزَّاي» كان خالد يريد أن يقوم ويلكمه في أنفه، لا بل أن يقتله أو أن يأكل لحمه وهو حي، لكنه كان يعلم أنه لا جدوى من المحاولة، أكد مدحت على كلام هدهد وقال: «أنا طول عمري بقول إن البت دي كانت بتخليه طري» لكمه خالد في أنفه ثم قال: «متجيبش سيرتها على لسانك» تحسس مدحت الدم السائل من أنفه ثم انقض على أخيه، اشتبكا

في صراع على أرض الغرفة، وشاهد هدهد الصراع مستمتعًا، لم يكن لأي منهما اليد العليا، فقوتهما متقاربة وكلاهما يعرف الآخر جيدًا بحيث يتوقع حركاته، تركهما لمدة دقيقة ثم صاح بحزم: «كفاية» وكأنما تحول خالد ومدحت لصورة ثابتة، توقفا عن الصراع على الوضع الذي كانا عليه، استمرا ثابتين للحظات ثم دفع خالد مدحت الذي كان يعلوه، ثم جلسا الاثنين أمامه كما كانا قبل عراكهما ثم قال هدهد: «إنتوا فعلًا عايزين تقتلوا؟» أومأ الاثنين برأسيهما إيجابًا، في حين قال خالد: «المشايخ بس» قام هدهد واقفًا وقال: «يلا بينا». نظر خالد إلى مدحت الذي بادله النظر وتساءل: «على فين؟»

- «على مكان تدربوا فيه».

بدا التساؤل على وجهيهما فأكمل: «هو إنتوا فاكرينها لعبة؟ الموضوع جد» خرج من الغرفة ووراءه خالد ومدحت، فتح هدهد باب الشقة التي يستخدمها كمكتب ونادى على ميمي التي نزلت فقال لها: «يلا بينا». لم تسأله عما يعنيه، بل تحركت خلفه وتبعهما خالد ومدحت وركبوا سيارة هدهد.

وقال مدحت: «بابا وماما هيقلقوا علينا». اتجه هدهد بسيارته إلى القاهرة وبدا الانزعاج على خالد.

لم يبد أي اهتمام على ملامح هدهد الذي قال: «مش مشكلة».

- «ممكن يبلغوا البوليس» ضحك هدهد ولم يرفع نظره عن الطريق ثم قال: «وإيه يعني؟»، ثم نظر في عيني مدحت المنعكسة في مرآة السيارة وقال: «أنت فكرك أن البوليس يقدر يعمل لي حاجة؟» أدار عينيه إلى الطريق مرة أخرى وقال: «إحنا بنشتغل مع سيدنا، محدش يقدر ييجي نحيتنا».

وصلوا إلى القاهرة واتجهوا إلى حلوان وتوقفوا أمام بناية من ثلاث طوابق،

فتح هدهد الباب الحديد وصعدوا إلى الدور الأول وفتح هدهد الباب وأنار مصابيح الصالة فبدت لهم شقة نظيفة مرتبة، قال لهم هدهد: «هتباتوا هنا وأنا وميمي هنبات في الدور اللي فوقكم وبكرة هنبتدي». تساءل مدحت: «هنبتدي إيه؟»

- «بكرة تعرفوا».

باتوا جميعًا ليلتهم واستيقظ خالد ومدحت على صوت هدهد المرتفع: «يلا يا شباب اصحوا». جلسا كل في سريره وفرك خالد عينيه وقال: «هي الساعة كام؟»

- «خمسة الفجر» هكذا رد هدهد باقتضاب.

- «وإيه اللي يصحينا خمسة الفجر؟» قالها مدحت متسائلًا في استنكار.

- «علشان ورانا تدريب».

- «تدريب إيه؟»

- «إنتوا مش قولتوا عايزين تقتلوا؟»

- «أيوة».

- «وإنتوا فاكرينها سهلة كده.. ده محتاج تدريب وتدريب قاسي كمان.. وبمنتهى الإرادة القوية والتصميم».

نظر له خالد ومدحت وقد استفاقا من نعاسهما تمامًا مع صوت هدهد المرتفع ونبرته الحازمة.

قال هدهد بعد لحظات صمت: «وبعد التدريب وتقرير مدربينكم هقرر إذا كنتم تنفعوا ولا لأ.. اللي مش عايز يقول من دلوقتي وأرجعه الزقازيق».

- «لا.. عايزين». قالها خالد في حزم.

نظر لهما هدهد وقال: «يلا بينا». نزلوا إلى الدور الارضي ثم أكمل هدهد النزول فتبادل خالد ومدحت النظرات ثم تبعوه في نزوله، نزلوا دورين تحت الأرض وفتح هدهد باب القبو لتتبدى لهم صالة ألعاب رياضية مكتملة كأفضل ما يكون من أجهزة ومساحات خالية لممارسة التدريبات، وكانت ميمي تقف بلبس رياضي أحمر قصير ضيق يكشف عن ذراعيها وكتفيها، وقد عقدت شعرها للخلف، وكان بصحبتها رجلين وامرأتين يلبسون بدلات رياضية، قال هدهد وهو يشير للواقفين ويقدمهم لخالد ومدحت: «أعرفكم.. سمير مدرب القتال اليدوي.. نهى مدربة اللياقة البدنية.. كمال مدرب السلاح الناري.. سناء مدربة السلاح الأبيض». كان خالد ومدحت ينقلان نظرهما للأشخاص حين يقدمهم هدهد وكان كل واحد منهم يومئ برأسه حين يذكر اسمه، قال هدهد وهو يشير إلى خالد: «وده خالد»، ثم أشار لمدحت وأردف: «وده مدحت». صمت لحظات ثم نظر إلى خالد ومدحت وهو يقول: «جدول تدريبكم مع ميمي اللي هتشرف عليكم لأني هارجع الزقازيق.. الالتزام بالجدول وبالمطلوب شيء رئيسي، أي إخلال بيه هيخليني أنهي التدريب وأرجعكم الزقازيق.. الأكل والشرب بمواعيد حسب الجدول وأي عدم التزام يعني إلغاء التدريب.. الجنس بمواعيد، وممنوع ممارسة الجنس مع المدربين.. إحنا هجيب لكم بنات حسب المواعيد» حانت التفاتة من خالد إلى ميمي بجسدها الرائع حين قال هدهد جملته الاخيرة فابتسم هدهد بخبث وقال: «ده متاح لو هي عازت».

استمر التدريب القاسي لمدة ستة أشهر، تدريبات قاسية جدًا دفعت

جسدي وعقلي خالد ومدحت لأقصى حدودهما وإن كان تقدم خالد أكثر من أخيه، فقد كان السخط والكره هو ما يسوقه، وكان هدهد يأتي ليزورهما على فترات متباعدة.

جلس الشيخ أحمد شمس الدين يحاضر تلاميذه ومريدي علمه في درس يوم الجمعة وقال لهم: «السحرة والدجالين يلبسون على الناس دينهم، فيخبرونهم بحقيقة يسترقها الجن من السماء ويخلطونها بمائة كذبة، واسمع معي لحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان أي راوي الحديث بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم». صمت لحظات ثم قال: «ومعنى الحديث أن السماء قد حُرست من الشياطين والجن مسترقي السمع، الذين يسترقون السمع ليعرفوا ما سيكون، حُرست بالشهب وعليه كان الحل الوحيد لهم أنهم يقفوا فوق بعض حتى يصلوا للسماء». أشار بيديه عند هذا الجزء من كلامه كأنه يبني سلم فيضع اليمنى فوق اليسرى، ثم اليسرى فوق اليمنى، أكمل قائلًا: «فيسترق أعلاهم السمع ويكون هناك احتمالان» رفع يده اليسرى المضمومة

الأصابع. إلا السبابة والوسطى وأشار بسبابة اليد اليمنى يعد الاحتمالين وقال: «الأول أن يحرقه الشهاب قبل أن يُخبر الذي تحته بما سمعه، والاحتمال الثاني أن يخبر الذي تحته قبل أن يحرقه الشهاب.. وفي هذه الحالة يخبر كل واحد الذي تحته حتى يصل الخبر إلى الكاهن أو الساحر الذي يخلط به مئة كذبة ويصدقه الناس في كذبه لأنهم يذكرون المعلومة الصادقة التي قالها لهم.. كل ما ييجوا يكذبوه يقول لهم: إنتوا مش فاكرين لما قولت لكم كذا وطلع صح» صمت لحظات ثم قال: «ولكني أريد أن أتكلم عن شيء آخر.. عن تفانيهم في خدمة الباطل.. فالشيطان الأول يعلم أن الشهاب سيحرقه ولكنه يحاول إخبار الشيطان الذي يليه قبل أن يحترق.. نحن أحبتي أولى بهذا التفاني منهم، فنحن نخدم الله الإله الحق».

دخل هدهد قاعة التدريب الموجودة في قبو منزل حلوان ليجد خالدًا ومدحت يتدربان على المبارزة بسيفين متوسطي الطول وقد اختلفت هيئتهما تمامًا، كانا حليقي الرأس وقد ازدادت الكتلة العضلية في جسديهما، وساعد في إبراز ذلك الثوب الأسود الذي يلبسونه والذي هو عبارة عن قطعة واحدة ضيقة تغطي جسديهما بالكامل بما يشمل النصف السفلي من الرقبة، وكان القتال شرسًا جدًا وإن بدا تفوق خالد الذي استغل حركة غير موفقة من مدحت ليجرحه جرحًا سطحيًا بسيطًا في ساعده الأيسر، وتوقف عن القتال ينظر له في سخرية، الأمر الذي أثار مدحت أكثر، فكان الجرح المعنوي أكبر بكثير من الجرح المادي وخصوصًا أمام هدهد، فرفع مدحت سيفه وهجم على خالد الذي تفاداه وضربه بالجزء المسطح من نصل سيفه على مؤخرته وأطلق ضحكة استثارت مدحت أكثر وهمَّ بالهجوم ثانية. «كفاية» هكذا قالها هدهد في حزم صارم، كان يعلم من التقارير والمشاهدة أن مدحت

ليس ضعيفًا، بل إنه ممتاز ولكن خالد هو الذي تخطى التوقعات وأصبح في مستوى مختلف، وقفا أمامه كالجنود أمام قائدهم، قال لهم: «الموضوع مش هزار ده جد وجد قوي كمان.. إنتوا دلوقتي جاهزين.. وعايزين نبتدي». وفي الشهر التالي قام خالد بقتل اثنين من العلماء، في حين قتل مدحت واحدًا، كانا يعملان منفصلين، وكانت إقامتهما في منزل حلوان، وانتظامهما في تدريباتهما وإن كانت ميمي قد عادت الزقازيق، الأمر الذي لم يرق لهما، كانا يذهبان إلى المحافظات التي يقومون فيها بعمليات الاغتيال ويعودون لحلوان.

جلس هدهد مع ميمي في غرفة البئر وقال لها: «أظن آن أوان أحمد شمس الدين» أومأت برأسها إيجابًا وقالت: «هو آن أوانه من زمان».

- «ما إحنا كنا منتظرين الرجل المناسب».

- «أظن هتقول خالد».

- «هو في غيره.. الواد بقى حاجة رهيبة والشر اللي جواه يكفي بلد».

جلس خالد على أحد أجهزة قاعة التدريبات الرياضية أمام هدهد الذي جلس على جهاز آخر في قاعة التدريب البدني بعد أن أمر هدهد مدحت أن يترك القاعة لأنه يريد أن يكلم خالد على انفراد، الأمر الذي أثار حفيظة مدحت فنظر شذرًا لأخيه ثم غادر القاعة، كان يعلم أن أخطر شيء عليه هو خالد، وأن العقبة الوحيدة أمامه للقرب من هدهد هي أخوه، في العمليات السابقة كان هدهد يتحدث أمامهما معًا رغم أن أحدهما فقط يُكلَّف بالعملية، أما هذه المرة فقد طرده من الغرفة وكان هو يكاد يُجن ليعلم ما يدور داخل القاعة.

قال هدهد: «عايزك في عملية».

- «وأنا جاهز» هكذا رد خالد بمنتهى الحزم.

- «المرة دي الهدف مهم جدًا أهم هدف في حربنا».

- «هـ... لك... أمه» هكذا عبر خالد عن حماسه لهدهد بعبارة تجمع الجماع الجنسي وسب الدين».

أومأ هدهد برأسه إيجابًا وقال: «المرة دي أنا هأوصلك بنفسي». كان هدهد لا يكون حاضرًا أثناء تنفيذ العمليات ولم يكن يوصلهم، بل يتم توصيلهم عن طريق أحد أتباع هدهد الذي يتغير كل مرة، ولكن أحس خالد بأهمية الموضوع عندما أخبره هدهد أنه سيوصله بنفسه، أكمل هدهد قائلًا: «وهنستناك لغاية أما تخلص».

أومأ خالد برأسه وقال: «علشان كده خَرَّجت مدحت؟» «أيوة .. ومش هنقول له» بدت الدهشة على وجه خالد وقال في حيرة متسائلًا: «أنت شاكك أن مدحت يخوننا؟» «المرة دي أنا واحد واجب الحذر» «بس مدحت مش ممكن...» قاطعه قائلًا بحزم: «ده مش شغلك»، ثم وقف فوقف خالد بدوره وقال هدهد: «اجهز.. التحرك بعد ساعة».

خرج هدهد من القاعة ليجد مدحت أمامه وقد بدا عليه القلق والفضول، نظر له نظرة عابرة ثم صعد السلم، خرج بعده خالد الذي عبر بجانب مدحت وصعد السلم ليصعد مدحت خلفه ويسأله: «هو في إيه؟» لم يتوقف خالد، بل أجاب وهو يصعد السلم: «مفيش حاجة». أكمل مدحت حواره وهو يصعد خلف خالد: «يعني إيه مفيش حاجة؟.. إنتوا اتكلمتوا لوحدكم ليه؟» كان خالد وصل للشقة محل إقامتهم ففتح الباب ودخل واتجه لغرفته وخلفه مدحت الذي قال: «أنت هتخبي عليا ولا إيه؟» قالها باستنكار، استمر خالد

في إخراج زيه وسيفه في غمده وقال: «الموضوع مش بإيدي» نظر مدحت إلى الأغراض الذي أخرجها خالد الذي توقف ونظر له فقال مدحت: «أنت رايح عملية جديدة؟» لم يجب خالد ولم يحرك ساكنًا فانفعل مدحت قائلًا: «هو أنت فاهم أنك أحسن مني.. بالعكس أنت أضعف بكتير.. زي ما طول عمري بقول لك أنت طري وهو هيندم أنه وثق فيك» قالها ثم خرج من الغرفة، كان يريد أن يكلم هدهد لكنه كان يخاف العواقب، فنزل إلى قاعة التدريب البدني ليخرج غضبه في التمرينات القاسية.

لم تمض ساعة حتى كان هدهد وخالد في السيارة متجهين إلى بلبيس حيث محل إقامة الشيخ أحمد شمس الدين.

الفصل الثالث عشر

وصل هدهد وخالد بلبيس في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وأوقف هدهد سيارته في الشارع الخالي من المارة على بعد ثلاثين مترًا من منزل الشيخ أحمد شمس الدين لمكون من ثلاثة أدوار علوية وخلع خالد قميصه وبنطاله ليظهر ثوب التدريب الأسود وأخذ سيفه من مقعد السيارة الخلفي، كان السيف في جرابه ذي الحمالة الواسعة، أدخل ذراعه الأيسر في الحمالة بحيث أصبح السيف معلقًا على ظهره، ثم أخذ حقيبة صغيرة علَّقها على كتفه الأيمن قال هدهد لخالد: «هو ساكن في أول بلكونة وأولاده ساكنين في الدورين اللي فوقيه بس هما بيشتغلوا في السعودية ومراته بتزور أهلها في المنصورة، فالبيت كله فاضي.. هتدخل من بلكونة الصالة». قالها وهو يُشير للشرفة المطلة على الشارع ثم أكمل: «تخلص في دقيقة وتنزل.. وابقي اسرق أي حاجة علشان تبان كأنها سرقة» أومأ خالد برأسه وقال: «حاضر» خرج خالد من السيارة ونظر حوله ثم مسح بنظره المباني المحيطة ليتأكد أن لا أحد يراه، كان الوقت متأخرًا وبرد الشتاء قد ألجأ الناس كلها لمنازلهم، اتجه لمنزل الشيخ أحمد ليتضح له أن كومة القمامة التي يراها ليست إلا رجلًا

طاعنًا في السن ملتفح ببطانية مهترئة، فتح الرجل عينيه ونظر لخالد الذي تفاجأ بالأمر فتوقف مكانه ينظر للرجل الذي قال بصوت هامس: «قول يا رب»، ثم أدار رأسه ثائر الشعر للجدار معطيًا خالد ظهره وغطى رأسه بالبطانية المهترئة وارتفع صوت غطيطه في لحظات، تسمر خالد في مكانه لثانيتين يحاول استيعاب ما مر به، وفكر أن هذا الرجل قد رأى وجهه وأنه يجب أن يقتله حتى لا يخبر عنه ولكنه لسبب لا يعلمه عدَلَ عن ذلك وأخبر نفسه أن الظلام لم يمنح الرجل الفرصة لرؤية ملامحه جيدًا كما أنه كما يبدو مختل عقليًا ولن يعبأ أحد لكلامه، إلا أنه في داخله لا يدري السبب الحقيقي وراء تركه للرجل، فآخر ما يمكن أن يتصف به خالد هو الرحمة، وفي الطبيعي كان خالد ليقتل هذا الرجل لاحتمال واحد في الألف أن يخبر عنه، أكمل خالد طريقه إلى منزل الشيخ أحمد شمس الدين وتوقف أسفل البناية ثم نظر لعمود الإنارة الملاصق للمنزل وتسلَّقه في ثانيتين وقفز منه إلى الشرفة دون أن يُحْدِث صوتًا، أخرج من حقيبته أداة حادة أدخلها في الفرجة بين ضلفتي الشيش ورفع بها ذراع غلق الشيش ثم جذب ضلفتي الشيش برفق فانفتح وظهر خلفه الزجاج المغلق، أخرج من حقيبته آلة قطع الزجاج التي يسمونها العاملين في مجال الزجاج الألماظة وثبتها على الزجاج بالشفاط أسفلها ثم جذب منها الجزء القاطع وصنع قطعًا دائريًا يكفي لإدخال يده، أزاح الآلة وملصق بها الجزء المقطوع من الزجاج وأدخل يده وفتح الزجاج من الداخل بحذر دون أن يُصدر أي صوت وأزاح الستار ودخل إلى الصالة المظلمة وفي سيارته كان هدهد يراقب وقد ارتسمت الثقة على ملامحه.

دخل خالد إلى الصالة المظلمة ورأى أن أنوار الشقة كلها مطفأة إلا غرفة نوم الشيخ، فاستطاع أن يسير بحذر مهتديًا بما يتسرب منه إلى باقي الشقة،

سمع صوت الشيخ غير الواضح وإن بدا أنه يُرتل القرآن، اتجه خالد بحذر إلى غرفة النوم واستل سيفه من غمده دون أن يصدر صوتًا وأمسك بسيفه بكلتا يديه رافعًا إياه فوق رأسه ووجد باب الغرفة مفتوحًا فنظر منه بحذر وهو ملصِق نفسه بالجدار ليجد الشيخ واقفًا يُصلي قيام الليل وظهرُه للباب وسمعه يقرأ قول الله تعالى من سورة الحجر: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون، والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» كان صوت ترتيله غاية في الجمال والهدوء، وبدا وكأن خالد قد نُوِّمَ مغناطيسيًا، وفي سيارته عقد هدهد حاجبيه وقد ظهر القلق على وجهه، تنبه خالد من شروده وتحرك بهدوء وهو ما زال رافعًا سيفه فوق رأسه بكلتا يديه: «فسجد الملائكة كلهم أجمعين، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين» كان الشيخ أحمد يُكمل تلاوته وقد وضع يديه على صدره ووجَّهَ نظره إلى الأرض على موضع سجوده ورفع خالد سيفه لأعلى أكثر بكلتا يديه متأهبًا لضرب الشيخ أحمد، كان قرر أن يُطيح برقبته بضربة واحدة، ولكن لأول مرة يبدو عليه التردد أو أنه وجد نفسه لا يستطيع أو لا يريد، هو نفسه لم يكن يعلم السبب، ربما يريد أن يُكمل القصة التي يتلوها الشيخ، الحوار الذي دار عند خلق الإنسان، ظل واقفًا كأنما شُلَّ جسده أو كأنه صورة ثابتة، والشيخ يُكمل ترتيله: «قال يا إبليس ما لك أن تكون مع الساجدين، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون، قال فاخرج منها إنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين»، وفي سيارته شعر هدهد أن قبضته ترتخي حول عقل وقلب خالد، فعقد حاجبيه ونفرت عروق رأسه ورقبته، في حين أكمل الشيخ: «قال رب فأنظرني إلى يوم يُبعثون، قال فإنك من

المُنْظَرين، إلى يوم الوقت المعلوم، قال ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المُخْلَصين» شعر خالد أن السيف يزن أطنانًا وأنَّ حمله أصبح لا يُطاق وفي سيارته بدا هدهد وكان عروقه ستنفجر من الاحتقان واحمر وجهه حتى أصبح في لون ثمرة الطماطم، في حين أكمل الشيخ: «قال هذا صراط عليَّ مستقيم، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» مال رأس السيف لأسفل وحاول أن يرفعه خالد لكنه لم يستطع، وهدهد على وضعه في سيارته، وأكمل الشيخ ترتيله: «وإن جهنم لموعدهم أجمعين، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم، إن المتقين في جنات وعيون، ادخلوها بسلام آمين، ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ إخوانًا على سررٍ متقابلين، لا يمسُّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين» انخفض السيف أكثر رغمًا عن خالد، وهدهد أصبح وجهه على وشك الانفجار من شدة الاحتقان، وأكمل الشيخ: «نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم» انخفض السيف أكثر، واحتقن وجه هدهد أكثر، في حين أكمل الشيخ: «وأن عذابي هو العذاب الأليم» هنا ارتعد جسد خالد ولم يعد يتحمل حمل السيف فسقط منه، وفي سيارته شهق هدهد وعاد وجهه للونه الطبيعي وضرب مُقوِّد سيارته بقبضته عدة مرات وقال بصوت غاضب: «مكنش لازم أبعته» وأدار محرك سيارته متجهًا لحلوان.

عندما سقط السيف من يدي خالد وارتفع صوت ارتطام المعدن بالبلاط التفت الشيخ أحمد إلى الباب وهو يقول: «الله أكبر» ووقع بصره على خالد وهو يبحث بتوتر عن السيف الذي سقط منه والتقطه بيده اليمنى وهو يلتفت سريعًا للشيخ أحمد مهددًا إياه وقد فرد يده بالسيف، فقال الشيخ بهدوء: «مالك يا ابني بتعيط ليه؟»، رفع خالد كفه الأيسر يتحسس وجهه

وهو يفكر: «بعيط.. أنا.. امتي ده؟» شعر بالبلل يغطي يده واندهش ليكمل مسح أنفه الذي سال منها المخاط وفكر متى حدث هذا لا أذكر أني بكيت، وفي حين كان خالد يرى نفسه رجلًا قويًا يُمسك سيفًا يهدد به رجلًا مُسِنًّا في حين كان الشيخ أحمد يرى طفلًا مراهقًا مرتبكًا يبكي، تقدم الشيخ أحمد بحذر تجاه خالد المتوتر الباكي وقال بهدوء وهو يرفع يديه وكفيه مواجهان لخالد: «اهدى بس وفهمني أنت عايز إيه؟.. أنت عايز فلوس؟» قال خالد وهو في غاية التوتر ويتكلم بصورة متقطعة ويتنفس بسرعة: «أنا.. أنا عايز.. عايز.. عايز أقتلك.. أيوة.. عايز أقتلك» ابتسم الشيخ أحمد بهدوء وقال: «وتقتلني ليه؟» قالها وهو يقترب منه بخطوات بطيئة واثقة، رد خالد بنفس الطريقة: «علشان.. علشان.. أنت.. أنت.. بتكذب.. بتخدع.. الناس.. و... و...» قاطعه وهو ما زال يقترب بنفس الهدوء والثقة: «وإيه؟.. وبكذب في إيه؟» ارتبك خالد وما زالت الدموع تسيل على وجهه ونظر حوله وهو يتراجع مع تقدم الشيخ أحمد نحوه حتى التصق ظهره بالجدار وقال بنفس الطريقة: «ابعد عني.. ارجع بعيد». اقترب الشيخ أحمد أكثر فأخفض خالد سيفه وتدلى ذراعاه بجانبه وسقط السيف من يده فاحتضنه الشيخ وهو يقول: «تعالى هنا بس». ارتمى خالد في حضنه وترك نفسه بين يديه يبكي على كتفه الأيمن، وجلس الشيخ أحمد على الأرض بفعل ثقل جسم خالد وهو ما زال محتضنه واستمر خالد يبكي والشيخ محتضنه لنصف دقيقة ثم ابتعد خالد عنه ومسح وجهه بيديه فوقف الشيخ أحمد ومد يده اليمنى لخالد وقال له: «تعالى معايا» نظر خالد ليد الشيخ أحمد الممدودة ثم أمسكها بيده اليمنى وجذبه الشيخ أحمد ليساعده على الوقوف ثم سارا سويًا حتى الصالة، وأنار الشيخ أحمد مصباح الغرفة ونظر إلى باب الشرفة المفتوح والهواء يُحرِّك الستارة ونظر للفجوة

التي صنعها قاطع الزجاج ثم التفت إلى خالد وأشار له ليجلس، فجلس على الأريكة وجلس جواره الشيخ أحمد وقال: «اهدى بقي كده وقولي في إيه؟ « أخذ خالد نفسًا عميقًا وقال له: «إيه اللي أنت كنت بتقراه؟»

- «سورة الحجر».

- «قول لي كده معناها إيه؟»

ابتسم الشيخ أحمد وقال: «قصدك تفسيرها؟»

- «أيوة أيوة تفسيرها».

كان الشيخ أحمد يريد أن يشرح التفسير كما يشرح لطلبة العلم ولكنه أدرك أن خالد لن يفهمه فقرر أن يتحدث بالعامية وبلهجة بسيطة «لما ربنا خلق آدم أمر الملايكة أنها تسجد له فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر ورفض أنه يسجد ولما سأله ربنا: ليه يا إبليس مسجدتش زي ما أمرتك؟ رد على ربنا وقال له: أنا مسجدش لبشر من طين، كان رده استكبار لأنه كان شايف نفسه أفضل من آدم فطرده ربنا من رحمته ولعنه لأنه عصى أمر مباشر من رب العالمين، فطلب من ربنا أنه يعيش لغاية يوم القيامة، ولما ربنا سبحانه وتعالى وافق على طلبه قال: إنه هيغوي كل ولاد آدم انتقامًا منهم، فربنا سبحانه وتعالى قال له: إن عباده هو ملوش حكم عليهم إلا اللي هيختاروا أنهم يتبعوه وفي الآخر ربنا بيقول: إنه هو الغفور الرحيم ويغفر كل الذنوب، بس برضو عذابه للي ميسمعوش كلامه عذاب أليم.. بس» كان خالد يستمع بكل تركيز وقال بعد أن انتهى الشيخ من كلامه: «يعني أنا مش مُجبر أسمع كلامه؟»

- «كلام مين؟»

- «كلام الشيطان».

بدت الدهشة على الشيخ أحمد وقال: «لا طبعًا.. هو في حد قال لك إنك مُجبر تسمع كلام الشيطان؟» ترقرقت عينا خالد بالدموع وتهدج صوته وهو يقول: «آه طبعًا.. مولانا» تساءل الشيخ أحمد وهو يعقد حاجبيه ويضيق عينيه: «مولاكم؟.. مين مولاكم؟»

- «حسن هدهد.. وسمعت نفس الكلام من الشيطان نفسه».

- «وأنت بتكلم الشيطان نفسه؟»

- «أيوة».

صمت الشيخ أحمد وهو ينظر إلى خالد ثم قال: «طيب احكي لي الحكاية من الأول.. بس استنني هجيب لك حاجة تاكلها وتحكي لي وأنت بتاكل» أتى الشيخ أحمد بخبز وجبن وكوبين من العصير وجلس يأكل مع خالد الذي حكى له كل شيء بالتفصيل وأفكار هدهد الذي يبثها في قلوب وعقول الشباب، ولم يقاطعه الشيخ أحمد حتى أنهى قصته رغم أنه كان يريد أن يرد على أغلب الكلام الباطل الذي يرويه خالد حكاية عن هدهد، لكنه آثر أن ينتظر إلى نهاية حكايته ثم يرد.

بعد أن أنهى خالد قصته التي استغرقت نصف ساعة قال الشيخ أحمد: «مفيش حاجة اسمها ربنا ميغفرش ده، ربنا يغفر أي شيء وكل شيء». قالها ردًا على ما قاله خالد بأنه فعل أشياء لا تُغتفر». تاني حاجة مفيش حاجة اسمها ربنا مش عايزك وهو سابك ليه». قالها ردًا على ما حكاه خالد عن هدهد وتابع الشيخ أحمد: «أولًا: ربنا سبحانه وتعالى مبنقولش عليه عايز لأن العوز يعني الاحتياج وهو سبحانه لا يحتاج لأي أحد أو أي شيء. ثانيًا: ربنا سبحانه وتعالى مبيسبش حد للشيطان إلا اللي مبيلجألوش، لكن أي حد

بيلجأ لله ربنا بيساعده»، ثم تساءل: «أنت عمرك قولت يا رب؟» ارتسمت الدهشة على ملامح خالد الذي تذكر كلام رجل الشارع بجانب منزل الشيخ أحمد عندما أخبره أن يقول: «يا رب» وتساءل: «أقول يا رب إيه؟»

- «أي حاجة.. اللي أنت عايزه.. اطلب منه.. فهو يملك كل شيء.. مثلًا يحميك من الشيطان.. أو يهدي قلبك للخير».

اختنق صوت خالد وهو يقول: «لا.. عمري ما قولت.. بس هو فعلًا يقدر عليه؟»

ابتسم الشيخ أحمد وهو يرأف لحال خالد وقال: « طبعًا.. مش هو اللي خلقه؟» صمت لحظات ثم سأله: «لو فرضنا أن في كلب هجم عليك وحاول يؤذيك هتعمل إيه؟»

- «هجري منه».

اتسعت ابتسامة الشيخ وقال: «وهو أنت هقدر تسبق الكلب؟»

- «طيب أعمل إيه؟»

- «تستعين بصاحب الكلب يبعده عنك.. صح؟»

أومأ خالد برأسه إيجابًا وقال: «صح».

- «برضو الشيطان كده.. لوحدك مش هتعرف تكسبه.. هو بيشوفك وأنت مبتشوفوش.. لكن لما تستعين باللي خلقه سبحانه وتعالى هيبعده عنك».

- «طيب وتستعين به إزاي؟»

- «تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

- «بس كده؟»

- «أيوة».

- «بالسهولة دي؟»

- «بالسهولة دي.. أنت بس قول: يا رب».

صمت وهو ينظر لخالد، الذي صمت بدوره ينظر له، فتابع الشيخ أحمد يستحثه: «قول». قال خالد بصوت متهدج: «يا رب» قالها كأنما ينفث فيها كل متاعبه وشجونه وأوجاعه، فابتسم الشيخ أحمد وهو يقول: «عارف إيه اللي حصل دلوقتي؟»

- «إيه؟»

- «الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ورب كل شيء قال لك: «لبيك عبدي».. عارف يعني إيه لبيك عبدي؟»

- «يعني إيه؟»

- «يعني قول يا عبدي أنت عايز إيه.. قول يا عبدي وأنا هنفذ لك اللي أنت عايزه.. قول له بقى أنت عايز إيه»

انحدرت العبرات على وجنتيه وهو يقول: «عايز أنضف» ابتسم الشيخ أحمد وقال: «خلاص يبقي هو سبحانه هيخليك تنضف».

- «بالبساطة دي؟»

- «بالبساطة دي»

- «كلمتين تلاتة بس؟»

- «أنت بس قول يا رب وربنا لا يمكن يخذلك».

بكي خالد كما لم يبكِ في حياته وتركه الشيخ أحمد يُفرغ انفعالاته، وعندما

شعر أنه هدأ بعض الشيء قال له: «قوم يا ابني اغتسل وغير هدومك وصلى ركعتين لله» وبالفعل قام خالد بعد أن علَّمه الشيخ أحمد أركان الاغتسال واغتسل وارتدى ملابسًا من ملابس الشيخ أحمد التي كانت واسعة بعض الشيء لكنها مقبولة، ثم علَّمه الشيخ أركان الوضوء وأركان الصلاة وتركه ليصلي لله، وكان لقاء خالد الأول بربه لقاءً مليئًا بالمشاعر، فقد فاضت دموع خالد أنهارًا وهو يقف أمام ربه مصليًا لأول مرة، وتكلم مع ربه وطلب منه أن يغفر له ولا يتركه أبدًا، وعندما انتهى من صلاته كان الفجر قد أُذِّنَ له، فأخبره الشيخ أحمد أن ينزل معه ليصلي أول فرض له جماعة في المسجد القريب من المنزل، وفي نفس الوقت كان هدهد قد وصل إلى منزل حلوان ونزل من السيارة يجري إلى غرفة مدحت، فدخل عليه يوقظه من النوم، فقام مدحت مذعورًا من نومه وسأله: «في إيه؟» أجاب هدهد بحزم غاضب: «في عملية مهمة جدًا عايزك تعملها» صمت لحظات ثم نظر بعيدًا إلى لا شيء وقال: «أهم عملية في حياتي».

الفصل الرابع عشر

عاد الشيخ أحمد ومعه خالد إلى منزل الشيخ أحمد من المسجد بعد أن مكثا به إلى شروق الشمس، وعندما صعدا إلى شقة الشيخ أحمد جاء الشيخ أحمد بمجموعة من الأوراق وقلم ووضعهم على المنضدة أمام خالد الجالس في الصالة وقال: «عايزك تكتب كل اللي أنت حكيتهولي لأن وأنت بتكتب ممكن تفتكر حاجات نسيتها وأنت بتحكي» أومأ خالد برأسه إيجابًا والتقط القلم وبدأ يكتب، وذهب الشيخ أحمد للمطبخ ليعدَّ له كوبًا من الشاي، كان ينوي أن يعطي له اليوم ليرتاح ثم يذهب به غدًا إلى الضابط محمد الدرندلي رئيس فرع أمن الدولة بالشرقية ليخبره بالقضية، كان بحكم كونه يعطي دروس في المساجد على علاقة بأمن الدولة حيث كان يتناقش حول محتوى دروسه، وكان يخبرهم أن الحل الوحيد لمقاومة فكر الإرهاب التكفيري هو نشر العلم الصحيح ولأنه من أكثر الشيوخ تأثيرًا وشعبية ليس بالشرقية فقط بل بمصر كلها كان على علاقة مباشرة برئيس فرع أمن الدولة بالشرقية وكانت علاقتهما يملؤها الاحترام والود وكان عندما يطلب الشيخ مقابلة الضابط محمد كان لا يتأخر عنه، وحتى عندما يخرج الشيخ عن النص ويقول بعض الأشياء التي

لا تُرضي الضابط محمد كان يتم استدعاء الشيخ باتصال مباشر من الضابط محمد ويكون العتاب بحزم لكن باحترام.

نام خالد بعد أن أنهى كتابة قصته مع هدهد وأعطى الأوراق للشيخ أحمد الذي احتفظ بها في درج مكتبه لكي يأخذها معه وخالد غدًا لمقابلة الضابط محمد، وقضى خالد باقي اليوم مع الشيخ أحمد يتعلم منه، يتعلم منه عن ربه الذي لم يكن يعرفه، قال له الشيخ أحمد: «كل أمل الشيطان أنه يبعدك عن ربك وييئسك من حياتك ويخلي حياتك كرب، في حين الله سبحانه وتعالى وعدك السعادة في الدنيا والآخرة، بس خد أنت خطوة تجاهه وشوف، لا يمكن ربك يخذلك، هو خلقك من عدم ووعدك الجنة لو آمنت بيه وعملت عمل صالح، وأنا شغلتي أن أعلم الناس دينهم الصح علشان ميحصلش معاهم زي ما حصل معاك ويستغل الشيطان جهلهم بربهم ودينهم ويضلهم»، وعندما جاء ليل الشتاء تقلَّبت الأحوال الجوية وجاءت عاصفة مطيرة لتغرق الشوارع، وفي منزله أخبر الشيخ أحمد خالد أنهم سيتناولون العشاء ثم يخلدون إلى النوم وسيوقظه الشيخ أحمد لقيام الليل.

وفي منزل حلوان سعد هدهد بالعاصفة والأمطار لأنها ستساعد على خلو الشوارع، وكان قد قرر إرسال مدحت لقتل الشيخ أحمد وإرجاع خالد، لذلك قرر أن ينفذ العملية في منتصف الليل.

وفي بلبيس استلقى خالد في أحد السريرين الموجودين في الغرفة التي كانت مخصصة لابني الشيخ ولف جسده في البطانية وإن لم يستطع النوم، ظل يفكر في ما حدث في أقل من أربع وعشرين ساعة كيف أن مشكلة حياته التي لم يكن يتصور لها حلًا حُلَّت بمنتهى البساطة، ولكن بعد أن دفع

ثمنًا غاليًا من الضحايا الأبرياء الذين عُذِّبوا وقُتِلوا في حفلات العربدة، سالت دموعه عند هذه النقطة وتذكر نورا حبيبته التي اغتصب شرفها إرضاءً لوحش مجرم ظن أنه يملكه ولا يستطيع أن يفلت منه، في حين أن خلاصه كان في منتهى السهولة، اللجوء إلى الله وطلب العون منه، لكنه لم يكن يعلم.

شعر بداخله بغضب شديد وفكر أنه سيقتل هدهد: «هو ده اللي المفروض يتقتل ونخلص من شروره» هكذا فكَّر، لكنَّه قرر أن يستشير الشيخ أحمد أولًا، وأخوه مدحت يجب أن يقابل الشيخ ليعلمه أن الخلاص سهل.

في تلك اللحظة سمع خالد صوت حركة حذرة من الصالة فاستل سيفه من غمده بعد أن كان وضعه أسفل السرير وتحرك بحذر إلى الصالة.

كان هدهد قد أوقف سيارته في نفس المكان وأخبر مدحت الذي خلع قميصه وبنطاله ليظهر ثوب القتال: «أنا مش متأكد أن خالد لسه معانا، ممكن يكون أحمد سحره فخلِّي بالك أنه ممكن يحاول يمنعك» ظل وجه مدحت جامدًا بلا تعبير وهو يضع سيفه بغمده على كتف وحقيبته على الكتف الآخر وقال: «هيبقى من سوء حظه لو حاول يمنعني». خرج مدحت من السيارة إلى الشارع الخالي بسبب الأمطار الشديدة التي لم تتوقف لساعات طوال والتي أخبر خبراء الأرصاد الجوية عنها أنها مستمرة لفجر الغد، ومر مدحت بجانب رجل الشارع الذي تدثر ببطانيته ووضع فوق رأسه كرتونة مفرودة على سبيل المظلة لتقيه المطر، فنظر رجل الشارع له لكن مدحت لم يتوقف وكذلك رجل الشارع أدار له ظهره وغطى رأسه بالبطانية.

صعد مدحت إلى شرفة الصالة مستخدمًا عامود الإنارة كما فعل أخوه وفتح الشيش بنفس طريقة خالد إلا أنه لم يحتج إلى قاطع زجاج، حيث إن

الشيخ أحمد كان قد غطى الفتحة التي صنعها خالد بقطعة كرتون لصقها على الزجاج فدفع مدحت قطعة الكرتون وفتح الزجاج ودخل، وذلك حين سمع خالد صوت الحركة الخافتة، تحرك مدحت بحذر بعد أن أشهر سيفه ورفعه فوق رأسه بكلتا يديه، وفجأة أغشى النور عينيه فتراجع خطوة وطوَّح بسيفه بطريقة دائرية ليحمي نفسه، «مدحت» قالها خالد الذي أضاء نور الصالة ليفاجئ المتسلل، قالها بسعادة فقد كان يتمنى أن يقابل أخوه الشيخ أحمد وها هو أخوه قد جاء بنفسه. «إيه اللي جابك» قالها خالد وقد أخفض سيفه وأنزل يديه بجانبه، ظل مدحت رافعًا سيفه فوق رأسه ممسكًا به بكلتا يديه في وضع استعداد وتساءل: «هو فين ابن الـ...» ظهر الاستياء على وجه خالد عندما سبَّ مدحت الشيخ أحمد بأمه وقال: «متقولش كده.. الراجل ده أنقذني.. ونفسي أنه ينقذك أنت كمان» «أنا مش في مشكلة علشان ينقذني» «بيتهيأ لك.. هدهد هيضيعنا.. ولو مهربناش منه هنضيع فعلًا» «أنت عارف أن مفيش مهرب منه ولا من سيدنا، وبعدين هو قال لي: إن ابن الـ... ده سحرك» «اللي سحرنا هو هدهد وطبعًا فيه مهرب منه.. أنا اتحررت خلاص ولا يمكن أرجع للذل والوساخة تاني» «مين قال إن ده ذل ووساخة، بالعكس دي حرية ومتعة» «صدقني في خلاص منه.. مفيش أحلى من النظافة.. أنت بس قول: يا رب» «رب» قالها باستنكار ثم أكمل: «أنت شكلك اتهبلت».

استيقظ الشيخ أحمد على صوت النقاش ووصل الصالة عند آخر جملة قالها مدحت، فتحفز مدحت أكثر، مما أقلق خالد فدفع الشيخ أحمد ليقف خلفه ليحميه من مدحت وقال الشيخ أحمد من وراء خالد: «هو ده مدحت؟» أومأ خالد إيجابًا وقد رفع سيفه فوق رأسه متحفزًا فأكمل الشيخ أحمد: «يا مدحت يا ابني نزِّل سلاحك وتعالى نتكلم.. اسأل خالد أخوك.. أنت مش مجبر

تسمع كلام الشيطان». كان مدحت مثبتًا نظره على خالد منذ بداية الحوار فنقل بصره إلى الشيخ أحمد وقال: «اسكت يا راجل يا... أنا مش مجبر أسمع كلام الشيطان.. أنا حابب أسمع كلامه ومبسوط قوي بحياتي» أعاد نظره إلى أخيه وقال: «ابعد يا خالد وسيبني أقتل ابن الـ... ده» أومأ خالد برأسه نفيًا وقال: «مقدرش أسيبك تقتله» «ليه؟» «بيعلم الناس دينهم وهيحميهم من أنهم يبقوا زيي وزيك.. علشان تقتله يبقى لازم تقتلني الأول». لمعت عينا مدحت وقال: «قوي قوي» ثم انقض على أخيه والتمعت عينا هدهد الجالس في سيارته.

دفع خالد الشيخ أحمد بعيدًا وصد انقضاضة مدحت، مع ارتفاع صوت الرعد كان مدحت يقاتل بشراسة ليثبت لهدهد ولنفسه أنه أفضل من خالد، وكان كل منهما يعرف الآخر جيدًا ويستطيع أن يتوقع حركة الآخر، لذلك كان القتال سجالًا بينهما وتابع الشيخ أحمد مبهوتًا من القتال الشرس الدائر في صالة منزله واتجه إلى المطبخ يبحث عما يعاون به خالد في قتاله فأمسك سكينًا ونظر إليها ثم هز رأسه نفيًا وفكر أنه لا يعرف كيف يستخدم السكين في القتال، حقيقة هو لم يتعارك مع أحد بغرض أن يؤذيه أبدًا، ثم هو لا يريد أن يقتل مدحت أو يُحدث له ضررًا بالغًا، فهو مقتنع أن مدحت مخدوع ومُغرر به، ترك السكين ثم التقط إناء طبخ كبير (حلة كبيرة) وفكر أنه يستطيع أن يضرب مدحت بها على رأسه فيفقده الوعي ويقيده، أمسك بإناء الطبخ الكبير واتجه إلى الصالة ووقف ممسكًا بالإناء يتحين فرصة، وعندما وجد أن خالد ومدحت التحما وقد أمسك كل منهما بيد الآخر اتجه الشيخ أحمد مسرعًا خلف ظهر مدحت وضربه على رأسه بكل قوة وتراجع خطوتين للخلف بعد ذلك، إلا أن الضربة لم تؤثر في مدحت الذي أمال جذعه للأمام

وهو ما زال ممسكًا بأخيه ثم طوَّح قدمه اليمنى للخلف ليضرب بها الشيخ أحمد في بطنه، وشعر الشيخ أحمد كأن الروح تُسحب من جسده وطار في الهواء لمسافة متر ثم ارتطم بالجدار وسقط على الأرض بلا حراك وقد سقط إناء الطبخ مُحدثًا صوتًا معدنيًا. صرخ خالد وهو ينظر تجاه الشيخ الراقد على الأرض: «لا» واستغل مدحت تشتُّت انتباه خالد فقفز للخلف وطوح سيفه ولم يستطع خالد تفادي الضربة التي أصابت بطنه جهة اليمين وسال الدم من الجرح فابتسم مدحت متشفيًا وهجم على أخيه وارتفع صوت تصادم السيفين مع هزيم الرعد، مع الوقت شعر خالد أن ذراعه الأيمن لا يمكنه حمل السيف وأصبح تنفسه أصعب وتركيزه أقل من جراء فقدان الدم، وأدرك مدحت ما أصاب أخاه فانقض عليه وطوح بسيفه بضربة قوية جردت أخاه من سيفه الذي طار من يده وسقط على الأرض مُصدِرًا صوتًا معدنيًا، وتدلت يدا خالد على جانبي جسده وقد أصبح لا يقدر على رفعهما، فضربه مدحت بمقبض سيفه على رأسه فتراجع خالد من قوة الضربة خطوتين وقد سال الدم على وجهه وألصق ظهره بالجدار ثم جلس على الأرض مسندًا ظهره ورأسه للجدار وقال وهو يتنفس بثقل: «افهم.. يا مدحت.. اللي بتعمله.. ده غلط « ابتسم مدحت بقسوة وغرز سيفه في كرسي من كراسي الصالة وقال: «مش مهم.. ما إحنا طول عمرنا بنعمل الغلط.. إيه الجديد يعني.. أنت اللي طول عمرك طري» «صدقني.. أنا خايف عليك.. كلام هدهد كذب.. ربنا موجود» انتزع مدحت السيف من الكرسي وقال باستنكار: «ربنا» ثم تابع: «واضح أنك اتهبلت.. أو مسحور زي مولانا ما قال.. وبعدين أنت مش شايف أنا فين وأنت فين.. أنا على رجلي وأنت...»، ثم بصق على وجهه ولم يجد خالد القوة ليمسح البصقة عن وجهه وتابع مدحت: «مفيش الكلام ده.. لا رب ولا حساب ولا

جنة ولا نار» ابتسم خالد وقال: «صدقني فيه رب وأنقذني من هدهد بمجرد أني قولت له: يا رب.. أنت بس قول: يا رب» قال مدحت بقسوة: «طيب خليه ينقذك المرة دي كمان.. أهو سايبك مرمي زي الكلب وأنا هاخلص عليك الأول وبعدين الـ... التاني» انتشرت رائحة كريهة في المكان ورفع مدحت سيفه فوق رأسه وهو يبتسم في تشف قائلًا: «شوفت.. مفيش...» «الله أكبر» هكذا ارتفع صوت الشيخ أحمد الذي فاق من إغماءته منذ قليل وسمع آخر الحوار الدائر بين الأخوين وتحرك بهدوء والتقط السيف الذي لدهشته كان أثقل مما ظن بكثير وقرر أنه سيضرب ليقتل هذه المرة ولكنه لم يستخدم سيفًا من قبل وكل من يستخدم سيف لأول مرة يعرف أن تقدير المسافة وإصابة الهدف لا يمكن أن يأتي من أول مرة، فقال الشيخ أحمد بقلبه: «يا رب أنت تعلم أني لا أعلم استخدام هذا السيف ولكنك قادر على كل شيء.. اللهم سدد رميتي.. اللهم سدد ضربتي».

كان قد أصبح خلف مدحت عندما صرخ: «الله أكبر» وطوح بسيفه والتفت مدحت للخلف ليضرب السيف عنقه ويطير رأسه ويسقط الجسد والرأس المنفصلين على الأرض واختفت الرائحة الكريهة.

وفي سيارته اعترت هدهد رجفة ثم نظرة بذهول.

رمى الشيخ أحمد السيف واتجه إلى خالد يمسح الدماء والمخاط عن وجهه وقال: «هاطلب الإسعاف» قال خالد بنفس الصوت الخفيض والنفس البطيء: «استنى». نظر الشيخ إلى خالد الذي سأله: «هو أنا.. لو مت.. دلوقتي.. أدخل الجنة؟» ترقرقت عينا الشيخ بالدموع وقال: «أنت ضحيت بنفسك ليه؟» «علشان.. أحميك». سال الدمع على وجه الشيخ وهو يقول: «وتحميني ليه؟»

«علشان.. تعلم الناس.. دينهم.. و... وميبقاش في... ناس تانية.. زيي وأخويا» «يبقي أنت بأمر الله شهيد، والشهيد في الجنة» «الحمد لله» بكى الشيخ أكثر فقال خالد: «متعيطش.. يا شيخ.. الدنيا.. طول عمرها.. سجن كبير.. عمري ما حسيت.. أني حر.. إلا.. من امبارح». ابتسم وقال: «هو أنا.. هشوف.. ربنا؟» تعالى صوت بكاء الشيخ وقال وسط دموعه: «هاطلب الإسعاف» «لا يا.. شيخ.. خلاص» «قول: لا اله إلا الله» «لا إله إلا الله» قالها ثم فاضت روحه إلى بارئها.

الختام

دخل وزير الداخلية مكتب رئيس الجمهورية في السابعة صباحًا وفي يده ملف ضخم وقال: «صباح الخير فخامتك» «صباح النور.. خير؟ .. إيه الحاجة اللي مستعجلة قوي كده» وضع وزير الداخلية الملف على المكتب أمام الرئيس قائلًا: «موضوع كبير قوي وكنت عايز فخامتك اللي تقولي أعمل إيه فيه» نظر رئيس الجمهورية للملف الكبير ثم قال بضيق وقد أمسك طرف الملف الحر بأصابع يده ومرر إبهامه على أطراف الأوراق: «أنت عايزني أقرأ كل ده؟» ثم اكتسى صوته بالصرامة وهو يقول: «احكي أنت واختصر.. المهم بس» «تمام فخامتك.. في مجموعة من العيال دخلوا في دور عبادة الشيطان» عقد رئيس الجمهورية حاجبيه وهو يقول: «والعياذ بالله» «فخامتك ده دور ماشي في العالم كله دلوقتي وهما مكنش منهم أذية.. شوية أغاني أجنبية وفيها كلام يمجد الشيطان ويناموا مع بعض وخلاص، وإحنا كنا مراقبينم، بس فيهم ولاد ناس مهمين فالشوشرة مش هتبقى كويسة» صمت لثانيتين ولكن رئيس الجمهورية ظل صامتًا وهو ينظر إلى عينيه فتابع: «من شهر كده حصل أن في تلات مشايخ في تلات محافظات مختلفة اتقتلوا، واللي قتلهم

حاول يبين كأنها سرقة، لكن الفاعل متمسكش ومفيش حاجة تربط بينهم، وبعدين النهارده من ساعتين اتصل بيا الدرندلي أمن دولة الشرقية وقال لي: إن الشيخ أحمد شمس الدين اتصل بيه وحكى له أن في ولد مراهق جه حاول يقتله واتضح أنه من بتوع عبدة الشيطان لكن الشيخ هداه، والولد حكى له اللي حصل له والشيخ طلب منه أنه يكتب على ورق بخط إيده فكتب» فتح رئيس الجمهورية الملف عند هذه النقطة وقال: «فين الورق ده؟» رفع وزير الداخلية بعض الأوراق من الملف ليخرج حزمة من الورق الأبيض المسطر مكتوب عليها بقلم أزرق وبخط رديء منفعل، أمسك رئيس الجمهورية بحزمة الورق وأغلق الملف وبدأ يقرأ فيها وقال دون أن ينظر لوزير داخليته: «كمِّل أنا سامعك» «تمام فخامتك.. الشيخ كان ناوي يجيبه الدرندلي النهارده لكن قبل الفجر جه أخو الواد التوأم وقتل أخوه بس الشيخ عرف يقتله» توقف الرئيس لحظة عن القراءة وقال: «الاتنين ماتوا؟» «أيوة» أكمل الرئيس قراءة دون أن يقاطعه الوزير ثم قال: «هدهد ده يتقبض عليه هو والبنت اللي معاه وكل العيال دول.. أما العيال فالمسلمين يقعدوا مع مشايخ والمسيحيين يقعدوا مع قساوسة وميخرجوش إلا لما يتعدلوا ويصلوا، أما هدهد والبنت يتحقق معاهم ونعرف مين وراهم» «تمام فخامتك».

وفي شقته في الزقازيق استيقظ هدهد من نومه وذهب عدوًا لغرفة ميمي يوقظها، استيقظت فزعة وقالت: «في إيه؟» «قومي البسي أنتي وراجح بسرعة». لم تمض خمس دقائق حتى كانا يقفان أمام هدهد الذي أعطى ميمي حقيبة صغيرة وقال لها: «الشنطة دي فيها فلوس ونوتة فيها تعليمات.. هتركبي تاكسي وتروحي العنوان ده» أعطاها ورقة صغيرة. «هتلاقي هناك عربية تويوتا راكنة في الجراج تحت البيت وده مفتاح الجراج» قالها وأعطاها المفتاح: «هتاخدي العربية وتمشي على التعليمات اللي في النوتة.. فهمتي؟»

كان كم المعلومات كبيرًا فقالت: «هو في إيه؟ وأنت مش هتيجي معانا ليه؟» «مفيش وقت.. أنا مهمتي انتهت وأنتي اللي هتكملي مع سيدنا» «أنا؟ طيب وأنت؟» «أنا خلاص مهمتي انتهت» وقفت مبهوتة فتابع بسرعة: «يلا قبل البوليس ما ييجي» قالت بدهشة: «بوليس.. مش أنت قولت البوليس ميقدرش علينا» «كفاية رغي.. يلا قبل ما يلحقوكي» قالها ثم أمسك بوجهها بكلتا يديه وقبَّل شفتيها ثم قبَّل رأس راجح ودفعها دفعًا إلى الباب، فخرجت تجري وأوقفت سيارة أجرة وركبت في المقعد الخلفي مع راجح واحتضنته كأنما تستمد منه الأمان، قال السائق: «على فين يا مدام؟» انتبهت إلى أنها حتى هذه اللحظة لم تقرأ العنوان في الورقة، ففتحت الورقة بارتباك فسقط منها مفتاح الجراج في أرضية التاكسي فانحنت تلتقطه، شعر السائق تجاهها ببعض الشفقة فقال: «على مهلك» التقطت المفتاح ثم نظرت في الورقة وقالت: «فلل الجامعة عند مدرسة اللغات بنين» وانطلق السائق إلى العنوان.

وبالفعل تم القبض على هدهد والشباب المراهقين وتم نشر الأخبار في الجرائد، ولكن دون الحديث عن هدهد وحفلات العربدة في المعبد الفرعوني أو جرائم القتل، بل الحديث عن الحفلات الغنائية لموسيقي البلاك ميتال وأغاني تمجيد الشيطان، وتم إيداع هدهد قسم الأمراض النفسية بمستشفى جامعة الزقازيق تحت تشخيص فصام شديد مصحوب بهلاوس وضلالات.

***

تمت بحمد الله وفضله في الساعة السادسة واثنتين وأربعين دقيقة صباح يوم الأحد الموافق ٢٠ رجب ١٤٤١هـ، الموافق ١٥ مارس ٢٠٢٠م.